رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

في أصول الحوار

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

في أصول الحوار

إعداد

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

الطبعة الخامسة
مزيدة ومنقحة
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

في أصول الحوار

إعداد

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

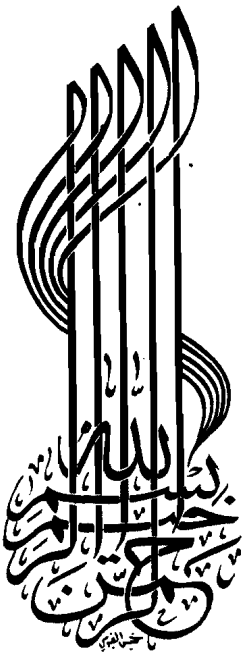

من الكتاب العزيز

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾
تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

إبراهيم ٢٤ - ٢٦

﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة ٨٣

﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ الحج ٢٤

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق ١٨

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ المؤمنون ٣

من هـدي النبـوة

(والكلمة الطيبة صدقة) (متفق عليه)

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمتْ) (متفق عليه)

(أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك) (الترمـذي)

(وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) (الترمـذي)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين ، ومن سار على سنته ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

وبعد :

يطيب للنـدوة العـالمية للشـباب الإسـلامي أن تقـدم هذا البحث الذي أعدته (وحدةالدراسات والبحوث) فيـها ، للمسلمين عامة ، وللشباب منهم خاصة راجية أن يجدوا فيه النفع والفائدة .

ولقـد دفع الندوة العـالمية للشـباب الإسلامي إلى إخـراج هذا البـحث عـدة أسباب :

١ - أهمية الحوار باعتباره وسيلة من أهم وسائل الدعوة إلى الله عز وجل، يمكن أن يحقق فوائد جمة إذا امتلك الداعية أدواته وهو يحاور الآخرين ومن المؤكد أن الحوار - وفق أسس منهجية - نافذة من الخير والنور .

٢ - الحوار المنهجي ، مفيد في إيصال الفكرة للآخرين ، ومفيد أيضاً في تدريب المحاور نفسه ، إذ أنه يرتقى بطريقته في التفكير وفي الأداء ، ويعلمه ضبط نفسه ولسانه ، ويقوي لديه ملكة المحاكمة والتفكير المتزن ، مما يجعله مقبولاً من الآخرين بدرجة أكبر ، ويجعل احتمال اقتناعهم بأفكاره أكبر أيضاً .

٣ - قضية الحوار قضية قديمة ، وفي التراث الإسلامي ، نصائح ثمينة أملتها تجارب متنوعة ، ولكنها تظل شذرات متفرقة ، وعبارات وجيزة مركزة منشورة في هذا التـراث ، وهذه المحـاولة من قبل الندوة تـهدف إلى الوصـول إلى قواعـد أساسية منهجية ، يرجى أن تكون عونا جميلاً لكل داعية .

وإن الندوة إذ تقدم هذا البحث هدية للدعـاة إلى الله ، والعـاملين في المنظمات والمؤسسات الدعوية ، وللشباب المسلم بشكل خاص ، لتدعو الله العلي القدير أن يجعله نافعاً مباركاً ويرزقه القبول والتوفيق .

ولا يفوتها أن تؤكد للقارئ الكريم ، أن هذا البحث ذو طبيعة عملية أملاها شعور بالحاجة ، ونهضت بتلبية هذه الحاجة خبرة عملية ميدانية هي حصيلة فترة طويلة من التأمل والحوار والمراجعة .

كما لا يفوتها أن تشكر أي قارئ كريم يتفضل بتقديم رأيه في هذا البحث ، وليثق أنه سيقع موقع القبول الحسن ، وسوف تحرص الندوة على الانتفاع منه ، تحدوها إلى ذلك الرغبة في الاستفادة من كل صاحب رأي ، والأمل في أن تكون كل طبعة جديدة من هذا البحث أفضل من سابقتها .

وفق الله الجميع لما فيه الخير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. مانع حماد الجهني

الأمين العام

للندوة العالمية للشباب الإسلامي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تمهيـــد

إذا كانت للداعية مجموعة من الأدوات والوسائل ، يسعى من خلالها إلى نشر دعوته بين الناس ، فإن عليه أن يتذكر دائماً أن أداته الأولى المتقدمة على ما سواها هي الحوار

ذلك أن الكلمة المؤمنة الطيبة هي سلاحه الأول في أداء رسالته النبيلة ، سواء في عرضها على الآخرين ابتداء ، أو الدفاع عنها حيال شبهة أو فرية ، كما أنها سبيله الأول في التعامل مع الآخرين من الدعاة أمثاله خاصة إذا تباينت بينه وبينهم وجهات النظر في قضية أو أسلوب أو أولوية .

لذلك يمكن أن يقال إنه بالمقدار الذي يكون الداعية فيه متمكناً من فن الحوار محيطاً بجوانبه المختلفة يكون أقدر على النجاح ، ومن هنا كان على الداعية أن يدرس هذا الفن دراسة مستوعبة ، ويرجع إليه بين الحين والآخر ، ويحاكم إليه طريقته في النقاش والحديث ، ويطور فيها باستمرار .

وفي العصر الحديث ، شاع تخصص يتصل بشكل أو بآخر بموضوعنا هذا ، هو فن العلاقات العامة ، وأنشئت لدى الدوائر والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية أجهزة خاصة بالعلاقات العامة ، تجدها لدى دوائر الحكومة ، ولدى الشركات ولدى دور النشر والصحافة ويمكن أن توصف المسئولية الأساسية لهذه الأجهزة بأنها حسن الإتصال بالآخرين للإقناع برأي ، أو ترويج سلعة ، أو تصحيح فكرة ، أو التمهيد لقضية .

ونظراً لأهمية هذا الفن ، والتركيز عليه في العصر الحديث ، وتأليف كتب خاصة به ، يمكن أن يقال إنه أمر قديم لكنه أخذ شكلاً أكثر تحديداً أو تخصيصاً ودقة

وبذلك هو وصف جديد لحقيقة قديمة .

ومن ينظر في تراث الأمة المسلمة يجد نفائس كثيرة جداً تتصل بهذا الجانب إتصالاً وثيقاً تتمثل في توجيه هنا ، أو حكمة هناك ، أو وصية لمجرب ، أو إشارة لمبعوث ، لكنها متفرقة في مختلف المصادر على تنوعها وتباين موضوعاتها وعصورها ومؤلفيها ، كما أنها في الأغلب تكون جملة وجيزة ، لكنها مركزة وغنية وحصيلة خبرة طويلة . ولو قيض لهذه المادة من يستقصيها ويجمع بين نصوصها المتشابهة ويرتبها ترتيباً موضوعياً ، ثم يدرسها ويستخرج القواعد المستنبطة منها ويضيف إليها النافع مما لدى الغرب في هذا المجال لأمكن الحصول على كتاب مفيد جداً يقدم لنا فن العلاقات العامة من منظور إسلامي .

وينبغي ألا نستهين بهذه الفكرة ، وينظر إليها كما لو كانت ترفاً ، فصحة الفكرة لا تستدعي بالضرورة نجاح المحامي في عرضها ، وكم من أفكار ثمينة صحيحة خسرت الجولة بسبب محاميها العاجز ، وكم من أفكار منحرفة كتب لها الفوز في مكان أو زمان أو مناسبة بسبب محاميها القدير ، ونحن في مجال الدعوة الإسلامية لدينا أعظم فكرة ، وأصوبها وأصحها وأصدقها ، ويبقى لنا المحامي القدير الذي يحسن عرض مادته النفيسة بأحسن الطرق لإقناع الآخرين بها .

وقد كان الحوار ولا يزال وسيظل الجزء المهم في فن العلاقات العامة ، ومن هنا تأتي هذه المحاولة لإبرازه والتركيز عليه ، وتقديم الخبرة المتاحة في موضوعه ، لتكون بين أيدي المثقفين المسلمين على وجه العموم ، وطلبة العلم الشرعي والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية على وجه الخصوص ، مؤملين أن نوفق إلى إقتراح مجموعة من الآداب والتوجيهات والقواعد التي يحتاج إليها الجميع في مناقشاتهم ومناظراتهم وحواراتهم وأحاديثهم ، تساعد على الوصول إلى الحق ، وجمع القلوب ، وتضييق مساحة الخلاف ، وتوسيع دائرة الإتفاق ، والله سبحانه

هو المسئول أن يتقبلها عملاً خالصاً لوجهه الكريم ويجزل أجر من سعى فيها بفضله العميم .

ولعل من المفيد أن يشار هنا إلى المقصود من الحوار والمحاور ، وتمييز ذلك عن ضروب الكلام الأخرى .

فالحوار هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب ومثال ذلك ما يكون بين صديقين في دراسة أو زميلين في عمل ، أو مجموعة في ناد أو مجلس أو سهرة .

ومعنى ذلك أن المحاور غير الخطيب الذي جاء جمهور من الناس ليسمعوه وهم سكوت وغير المدرس والمحاضر ، ومعنى ذلك أن أجواء الحوار يغلب عليها - في الجملة - الهدوء وبرودة الأعصاب ، وعدم التشنج ، والتعصب ، مما يجعل فرص الإقناع والاقتناع واستفادة كل واحد من صاحبه أوسع وأرحب .

وبعد : فإن هذه المذكرة بحث عملي إذا صحت العبارة ، يهدف إلى التنبيه على أهمية الحوار بالنسبة للداعية المسلم ، ويقترح أمامه جملة من القواعد والضوابط والآداب والتوجيهات والنصائح ، نرجو أن يكون في الأخذ بها ما يرفع أداء الداعية المسلم ويجعله محاوراً قديراً .

بيـن الحـوار والجـدال

لعل من المفيـد أن يفـرق المرء بين الحـوار والجـدال تفـريقـاً يوضح مـدلول كل منهـما ، فالحوار والجدال يلتقيان في أنهـما حديث أو مناقشة بين طرفين ، لكنهما يفترقان بعد ذلك .

أما الجدال فهو على الأغلب اللدد في الخصومة وما يتصل بذلك ، ولكن في إطار التـخـاصم بالكلام ، فـالجـدال والمجـادلة والجـدل ، كل ذلك ينحـو منحى الخصومة ولو بمعنى العناد والتمسك بالرأي والتعصب له .

وأما الحـوار والمحاورة فهـو مـراجعة الكلام والحـديث بين طرفين ، ينتـقل من الأول إلى الثـاني ثم يعـود إلى الأول وهكذا ، دون أن يكـون بين هذين الطرفين مـا يدل بالضرورة على وجوب الخصومة .

وفي القرآن الكريم مايدل على هذا الفرق ، حيث نجد الكتاب العزيز يستعمل الجدال في المواضع غير المرضي عنها أو غير المجدية ، كقوله عز وجل : ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [1] وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [2] .

وقد وردت مادة الجدال في تسعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم ، يغلب عليها جميعاً [3] ، أن تكون إما في سياق عدم الرضا عن الجدال ، وإما عدم جدواه

أما المحاورة فقد وردت مادتها في القرآن الكريم [4] في ثلاثة مواضع ، ويمكن أن تفهم على أنها مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين .

على أن الحوار يرد في القرآن الكريم في مواطن كثيرة جداً ، وإن لم تستعمل مادته نفسها ، وإنما تستعمل كلمة (قال) التي وردت في الكتاب العزيز (٥٢٧) مرة [5]

---

(١) غافر ٥ (٢) الحج

(٣) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم د. عبد الحليم حفني ص ١٢ .

(٤) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم د. عبد الحليم حفني ص ١٢ .

(٥) المسلم المعاصر ١ - ٢ / ١١٨ ربيع الثاني ١٣٩٥هـ - أبريل ١٩٧٥م من مقال للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري

القــرآن الكـريم والحــوار

عني القرآن الكريم عناية بالغة بالحوار ، وذلك أمر لا غرابة فيه أبداً ، فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع الذي ينبع من أعماق صاحبه ، والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض ، وإنما ينبع من داخل الإنسان .

وقدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار ، منها مادار بين الله عز وجل وملائكته في موضوع خلق آدم عليه السلام .[١] ومنها مادار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبراهيم عليه السلام عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحي الموتى [٢] ومن ذلك قصة موسى عليه السلام حين طلب من ربه أن يسمح له برؤيته [٣] وقصة عيسى عليه السلام إذ سأله ربه عما اذا كان طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله [٤] ، ومنها الحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف [٥] وقصة إبراهيم عليه السلام حين هم أن يذبح ابنه [٦] وقصة قارون مع قومه [٧] وقصة داوود مع الخصمين [٨] ونوح عليه السلام مع قومه [٩] وشعيب عليه السلام وقومه [١٠] وقصة ابني آدم عليه السلام [١١] وقصة موسى والعبد الصالح [١٢] وحكاية بلقيس إذ تستشيرْ قومها في الخطاب الذي وردها من سليمان عليه السلام [١٣] والحوار بين السادة والأتباع الذين أضلوهم يوم القيامة [١٤] والأمثلة كثيرة جداً في الكتاب العزيز ، وكلها تدل على أهمية الحوار وخطورته .

---

(١) البقرة ٣٠ - ٣٢ .
(٢) البقرة ٢٦٠ .
(٣) الأعراف ١٤٣ .
(٤) المائدة ١١٦ .
(٥) الآية ١٨ .
(٦) الصافات ١٠٢ .
(٧) القصص ٧٦ .
(٨) ص ٢١، ٢٢ .
(٩) الأعراف ٥٩ .
(١٠) هود ٨٤ .
(١١) المائدة ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .
(١٢) الكهف ٦٥
(١٣) النمل ٣٨ .
(١٤) سبأ ٣١ .

ومن الاطلاع على هذه النماذج وأمثالها ، يتأكد لنا أن القرآن الكريم يعتمد اعتماداً كبيراً على أسلوب الحوار ، في توضيح المواقف ، وجلاء الحقائق وهداية العقل ، وتحريك الوجدان ، واستجاشة الضمير ، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي والاستجابة ، والتدرج بالحجة ، احتراماً لكرامة الإنسان وإعلاء لشأن عقله الذي ينبغي أن يقتنع على بينة ونور .

وقد آتى هذا اللون من الحوار أكله ، وترك في العقول والقلوب أثره ، والقصص كثيرة جداً على ذلك . وإن كان بعض أبطالها يسلمون ، وبعضهم يمتنعون . وهنا نقدم مثلين ، يسلم صاحب الأول منهما ، ويبقى على الضلال صاحب الثاني منهما .

سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآيات ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1]

فقال : (كاد قلبي يطير ، وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي)

أما الوليد بن المغيرة ، فلم يملك نفسه أثر سماعه لبعض آي الذكر الحكيم أن قال عنه : (والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ماتحته) ، لكنه لم يلبث أن زعم أن القرآن الكريم ما هو إلا سحر يؤثر ، مدفوعاً بالعناد والمكابرة والحرص على إرضاء قومه المشركين .

(١) الطور ٣٥ - ٣٧ .

الرسـول ﷺ والحـوار

نجد في سيرة الرسول ﷺ نماذج كثيرة متنوعة للحوار ، ترد في أشكال شتى لتقدم لنا الدروس التي يحسن بنا الإنتفاع بها .

★ حين جهر رسول الله ﷺ بالدعوة حارت قريش وارتبكت ، وفكرت ودبرت وكان مما صنعته أنها أرسلت عتبة بن ربيعة إليه ، يحادثه ويفاوضه ويغريه .

يروى [1] أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة [2] في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها .

فقال رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع ، فقال له عتبة ما قال حتى إذا فرغ قال له : أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم : قال فاسمع مني ، قال : أفعل فأخذ رسول الله ﷺ يتلو عليه من سورة فصلت ، حتى إذا إنتهى إلى الآية موضع السجدة منها وهي الآية ٣٧ ، سجد ، ثم قال لعتبة : قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذلك ، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به ، وطلب عتبة إليهم أن يدعوا الرسول ﷺ وشأنه فأبوا وقالوا له : سحرك يا أبا الوليد بلسانه .

وفي هذه القصة أكثر من درس - فيما يتصل بموضوع هذا البحث - يحسن

---

(١) إبن هشام ١ / ٣١٣ .
(٢) السطة : المكانة .

الوقوف عندها ، فالرسول الكريم أحسن الاستماع لعتبة وقال له : قل يا أبا الوليد أسمع ، فلما قال عتبة ما عنده ، أعطاه الرسول الفرصة لإضافة شئ قد يود أن يقوله ، ربما نسيه أو غفل عنه ، وسأله : أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟ ومعنى ذلك أنه أحسن الاستماع تماماً ، وأعطى محدثه الفرصة ليقول من جديد دون أن يعاجله ، فلما سأله ليتأكد من فراغه مما لديه ، بدأ التلاوة ، وهذا قمة الأدب ، وقمة الذوق ، مما يجعل الطرف الآخر تتفتح نفسه للسماع ، فكانت تلك المقدمة المحمودة لما جاء بعدها وهو تلاوة آيات من الذكر الحكيم ، تنتهي بسجدة ، سجدها عليه الصلاة والسلام ثم قال لعتبة : قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذلك (أي وما تختار) ففي تصرفه عليه الصلاة والسلام ، أدب عال ، وذوق جم ، وحسن استماع منه يستدعي حسن إصغاء من عتبة ، وهذا كله يجعل عتبة مستعداً للتلقي ، لذلك لا غرابة أن قال له قومه بعد إذ عاد إليهم : سحرك يا أبا الوليد بلسانه .

★ وفي أعقاب [1] معركة حنين نجد درساً آخر في موقف مختلف جدير بالتوقف والنظر الطويل نلقى فيه الرسول الكريم ﷺ محاوراً بطريقة أخرى .

وزع الرسول الغنائم - وكانت كثيرة - في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً فغضب بعضهم وقال منهم قائل(لقى والله رسول الله قومه) فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : (يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيئ الذي أصبت ، فقسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شئ (قال رسول الله ﷺ (فأين أنت من ذلك ياسعد ؟) قال :

(يا رسول الله ما أنا إلا من قومي) قال :(فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة)

(١) ابن هشام ٤ / ١٦٤ .

فخرج سعد فجمع الأنصار فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : (يامعشر الأنصار ، ماقالة [1] بلغتني عنكم ، وجدة [2] وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة [3] فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم) قالوا : (بلى والله ورسوله أمن وأفضل) ... ثم قال : (ألا تجيبونني يامعشر الأنصار) ؟ قالوا : (بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل) . قال : (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ، وصدقتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً [4] فآسيناك [5] أوجدتم يامعشر الأنصار في لعاعة [6] من الدنيا تألفت بها قلوب قوم ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا ، وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار) .

فبكي القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : (رضينا برسول الله قسماً وحظاً) إن في هذه الواقعة دروساً بليغة ومفيدة ينبغي تدبرها ، فالرسول الكريم ﷺ لم يلم سعدا لأنه لم يرد على الأنصار الذين غضبوا ولم يناقشه في حجته التي فيها ما فيها ، بل إنه لم يسأل عن الشخص الذي قال (لقى والله رسول الله قومه) وفيها أنه حاباهم وأعطاهم فوق حقهم بدافع العصبية ، بل إنه سأل سؤالاً عاماً ، ليجعل الحديث للجميع ، وليواجه المشكلة من أساسها .

وبدأ بسؤاله العاتب عليهم وثنى على ذلك بذكر الفضل الكبير الذي فاز به

---

(١) قالة : قول .
(٢) جدة : غضب .
(٣) عالة : فقراء .
(٤) عائل : فقير .
(٥) آسيناك : أعناك .
(٦) لعاعة : شئ يسير .

الأنصار إذ أسلموا فانتقلوا من الضلال إلى الهدى ، ومن الفقر إلى الغنى ، ومن العداوة إلى التآلف .

ولما كان من الطبيعي أن يجول في قلوب الأنصار أنهم أيضاً أعطوا الرسول ﷺ ونصروه وصدقوه ، وهذه كلها مزايا ، وهي حق ، قالها المصطفى عليه الصلاة والسلام نيابة عنهم ، ليقر لهم بالجميل ، فذكر أنهم صدقوه ، وقد جاءهم مكذباً ، ونصروه وقد جاءهم مخذولاً ، وآووه وقد جاءهم طريداً وواسوه وقد جاءهم عائلاً .

وبعد أن عاتبهم من ناحية وأرضى قلوبهم من ناحية ، ختم كلامه معهم بأن أقر لهم أنهم أعلى كعباً في الإسلام لذلك وكلهم إلى إسلامهم ، ثم بين لهم المنة الكبرى التي فازوا بها إذ يذهب الناس بالشاة والبعير ، أما الأنصار فإنهم يعودون بخاتم الأنبياء وأفضل الخلق عليه الصلاة والسلام ، ثم دعا بالرحمة لهم ولأبنائهم ولأحفادهم .

لذلك لا غرابة أن وجدنا الأنصار يبكون ، ويفرحون ، ويقولون في غبطة وسعادة : (رضينا برسول الله قسماً وحظاً) .

☆ وروى أبو أمامة أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يانبي الله ، أتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به فقال النبي ﷺ قربوه ، أدن ، فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي : أتحبه لأمك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداك . قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك ؟ وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة : لا ، جعلني الله فداك ، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه . (فلم يكن شئ أبغض إليه منه يعني الزنا) . [1]

(١) رواه أحمد بإسناد جيد .

★ وأتي رجل أنكر ولده إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله : إن امرأتي ولدت غلاماً أسوداً . فقال رسول الله : هل لك من إبل ؟ قال : نعم قال : ما لونها ؟ قال : حمر . قال : هل فيها من أوراق ؟ قال : نعم قال : فمن أين ذلك ؟ قال : لعل عرقا نزعه فقال رسول الله ﷺ : وهذا الغلام لعل عرقا نزعه . (١)

★ وجاء يهودي اسمه زيد بن سعنة إلى النبي ﷺ يختبر صدقه في الدعوة وقد ابتاع منه تمراً إلى أجل فطالبه به قبل حلول الأجل مغلظاً له في القول وسط القوم ، فكان من قوله : إنكم يابني عبد المطلب قوم مطل ، فهم به عمر فمنعه النبي ﷺ وقال له : (ياعمر أنا وهو كنا أحوج منك إلى غير هذا أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء ثم أمر بإعطائه حقه وزيادة عشرين صاعاً في مقابل ترويع عمر له فلم يسع اليهودي إلا إعلان إسلامه) . (٢)

★ وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ يطلب منه شيئاً فأعطاه ما تيسير في يده ثم قال له في هدوء : أأحسنت إليك يا أعرابي ؟ فرد الرجل مندفعاً : لا ولا أجملت وهو رد أحمق لا يواجه به صاحب عطاء فغضب المسلمون وهموا به ولكن الرسول أشار إليهم في ابتسام فهدؤا ، ثم اتجه إلى منزله الشريف ونادى الأعرابي في تلطف وابتسام وأعطاه ، ثم قال : أأحسنت إليك ؟ فقال الأعرابي مبتهجاً : نعم وجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال له النبي ﷺ إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإذا أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك . قال : نعم .

فلما كان الغداة جاء الأعرابي إلى مسجد رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه فقال ﷺ : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي ، وتوجه إلى الأعرابي بالنظر ، فقال الأعرابي : نعم فجزاك من أهل وعشيرة خيراً ،

---

(١) أخرجه البخاري في الطلاق باب ٢٦ ، ومسلم في اللعان رقم ١٨ .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٣٩) وقال : روى ابن ماجه طرفاً منه ورواه الطبراني ورجاله ثقات .

فقال : ﷺ : (إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فتبعها الناس فلم يزدها إلا نفوراً فناداهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها وأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً هوناً حتى جاءت فاستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ولو أني تركتكم حيث قال الرجل ماقال فقتلتموه دخل النار) [1]

★ وعندما نزل الرسول الكريم منزلاً في بدر لم يره الحباب بن المنذر مناسباً ، لم يتردد الحباب أن يسأل الرسول إن كان نزوله بهذا الموضع وحياً من عند الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فأشار الحباب بأن ينطلق المسلمون إلى أدنى ماء من بدر فيبنوا عليه حوضاً يشربون منه أثناء القتال ويمنعون المشركين سائر الآبار فقال رسول الله ﷺ : ياحباب أشرت بالرأي ، ونهض بمن معه فنزل على القليب ببدر .

★ وبعد المعركة توجه رسول الله ﷺ للقاء أصحابه قائلاً : (ما تقولون في الأسارى)؟ فاختلفت وجهات النظر : أما أبو بكر الصديق فقال : يارسول الله : قومك وأهلك ، استبقهم واستتبهم لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يارسول الله : كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحه : يارسول الله : أنت في واد كثير الحطب فاضرم الوادي عليهم حطباً ثم ألقهم فيه .

وسكت رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم بشئ ثم قام فدخل فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحه .

ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : (إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى البزار بسند فيه راو متروك ، مجمع الزوائد ٩ / ١٦

تكـــون ألين من اللـبن وإن الله ليشـدد قلـــوب رجـــال فيـه حـتى تكـون أشـــد من الحجـارة وأن مثـــلك يا أبا بكـر كمثل إبراهيم عليه السـلام قـال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ومثل عيسى عليه السلام إذ قال ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٢)

وأن مثلك ياعمر كمثل موسى عليه السـلام قال : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (٣) ومثل نوح عليه السـلام إذ قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٤) .

وفي الحديبية اتفق رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو مبعوث قريش على اتفاق يقضي بأن يرجع المسلمون عامهم هذا حتى لا تتحدث العرب أنهم دخلوا عنوة فلما سمع عمر بن الخطاب بأمر الصلح هذا أتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أبو بكر : يا عمر الزم غرزك فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله : ألست برسول الله ؟ قال بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني ، لم ينكر رسول الله ﷺ على عمر كلامه ولم ير المسلمين فيما قاله عمر قدحا في مكانته . ثم كان عمر هو الذي راجع نفسه لما تبينت له الحكمة في ذلك الصلح الذي عده القرآن الكريم (فتحاً مبيناً) .

وهكذا نرى رسول الله ﷺ هو الأسـوة الحسـنة أرق مـا يكون أسـلوباً في حواره وأفسـح مـا يكون صـدراً لمخـالفيـه ، وضـرب أروع الأمثلة في حسـن الاستماع حتى روى أنس رضي الله عنه (أن كانت الأمـة من إمـاء المدينـة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شـاءت) (٥)

---

(١) إبراهيم ٣٦ (٢) المائدة ١١٨ . (٣) يونس ٨٨
(٤) نـوح ٢٦ . (٥) رواه البخاري

الإقـــرار بالخـــلاف

اقتضت حكمة الله سبحانه أن تختلف آراء الناس في صغير الأمور وكبيرها سواء فى أمور الدنيا أم في أمور الدين . وسبب ذلك أنهم خلقوا مختلفين في الفهم والعلم كما خلقوا مختلفين في الأمزجة والميول والرغبات . وفي الضعف والقوة والصبر على العلم والعمل .

وسبب الاختلاف في الأمور الدينية أن بعض نصوص القرآن والسنة المتعلقة بالأحكام ظنية الدلالة . أي تحتمل أكثر من وجه من وجوه التأويل ، فإذا أضيف إلى هذا اختلاف العقول في العلم والفهم كانت النتيجة الطبيعية اختلاف وجهات النظر . هذا فيما عدا ماهو معلوم من الدين بالضرورة ، وهي أساسيات الدين وأركانه : كأركان الإيمان وأركان الإسلام ، فهذا مما لا يجوز اختلاف الآراء فيه . فلو كانت نصوص القرآن والسنة كلها قطعية الدلالة لا تحتمل سوى وجه واحد من وجوه التفسير ، ولو تساوت العقول والأفهام لما كان هناك اختلاف ، وهذا هو خلاف الواقع المحسوس .

ولكن اختلاف الآراء ينبغي ألا يؤدي إلى اختلاف القلوب . لأن اختلاف القلوب حرام ، وهو خطر يتهدد الإيمان كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ...) [1] فالإيمان شرط لدخول الجنة ، ومحبة المسلمين بعضهم بعضاً شرط لكمال الدين .

ولنعط بعض الأمثلة على الاختلاف في فهم النصوص الشرعية ، ولعل أفضل الأمثلة ماحدث في عهد الرسول ﷺ بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

---

(١) رواه مسلم - كتاب الإيمان - حديث رقم ٥٤ .

★ أخرج البخاري ومسلم رحمهما الله في صحيحيهما [1] أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب : (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم .

★ روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (خرج رجلان في سفر ، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء ، فتيمما صعيداً طيباً ، فصليا ، ثم وجدا الماء في الوقت ، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ، ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له ، فقال للذي لم يعد : أصبت السنة ، وأجزأتك صلاتك ، وقال للذي توضأ وأعاد : لك الأجر مرتين)[2]

ومادام نبذ الخلاف في كل أمر من الأمور وفي كل وقت غير مقدور عليه لأنه مغاير لطبيعة الأشياء فعلينا أن نعرف كيف نختلف مثلما علينا أن نسعى للاتفاق سواء بسواء وقد أرشدنا القرآن الكريم للسلوك السوي عند التنازع فقال : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [3]

وليس يعني اختلاف الآراء تجاوز الأصول أو الانسياق وراء الأهواء وإنما الإلتزام بالضوابط المنهجية والإستناد إلى المنطق السليم واعتبار المخالف طرفاً في حوار متكافئ لا يجوز رفض رأيه سلفاً أو التعصب ضده أصلاً وإنما كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[4]

فإذا كان هذا خطاب المؤمنين لغيرهم أفلا يكون هذا درساً بليغاً لهم في ما يجب عليهم في حوارهم عند اختلاف الرأي بينهم ؟

---

(١) فتح الباري ٨/ ٤١١ . البخاري - كتاب المغازي . مسلم - كتاب الصلاة .
(٢) رواه أبو داوود والنسائي .
(٣) النساء ٥٩ .
(٤) سبأ ٢٤ - ٢٦ .

ويجب ألا يتجاوز المتحاورون حدودهم فيعمدوا إلى الإثارة والإستفزاز والدس والوقيعة والسخرية لأنهم بذلك ينزلقون إلى هوة سحيقة مع من (إذا خاصم فجر) .

ومما يساعد على مواجهة الخلاف تحديد الأصول والفروع وتقرير الأولويات ، فلا يؤدي التنازع على الجزئيات إلى اهدار الإتفاق على الكليات ، ولا يتورط المختلفون حول نافلة في التجني على فريضة ، وما أجمل أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

ومن ثم فإنه لا ضير من الاختلاف ولابد أن نتقبله بصدر رحب ونتسامح مع المخالفين ونجعل شعارنا ما قرره الإمام مالك رضي الله عنه بقوله : (إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه) .

وما أرشد قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه : (رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب) .

فاتباع الحق والسعي للتوصل إليه والحرص على الالتزام به هو الذي يقود الحوار في طريقه المستقيم ويحول دون الانسياق وراء الهوى سواء كان هوى شخصياً أو كان هوى المستمعين له أو المحيطين به ويمنع التعصب للرأي بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ولابد أن يضع المحاور في ذهنه أنه ربما كان لدى غيره شئ ما يتعلمه منه فيحرص على أن يظل المجال مفتوحاً لتقليب وجوه الرأي وإثراء الفكر والأخذ بالأمثل والأصوب دون أن تختلف القلوب وتتفرق الصفوف .

وقد ذكر الشاطبي في الاعتصام رواية عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هي قوله : (ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا ، لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق وإنهم أئمة يقتدى بهم) .

واذا كان الناس مختلفين بحكم طبيعتهم فإن رحمة الله قريبة منهم إذا اتبعوا هدى السماء في علاج خلافاتهم وانتفى من جانبهم فساد النية وانحراف الضمير واجتهدوا قدر وسعهم في تحري الصواب والوصول إلى الحق والثقة في جو من الأخوة والمودة .

ولقد ضربنا أمثلة للاختلاف في فهم النصوص الشرعية وإليك بعض الأمثلة للاختلاف في الامور العامة .

★ ففي غزوة بدر اختلفوا في توزيع الغنائم حتى نزل قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

★ واختلفوا في مصير الأسرى حتى نزل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

★ في غزوة أحد اختلف المسلمون هل يخرجون للقاء العدو المهاجم خارج المدينة أم ينتظرونه ويلقونه فيها ويقاتلونه في الأزقة ويرمونه من فوق الصياص والآطام وكره رسول الله ﷺ الخروج ولكنه نزولاً على رأي المخالفين دخل بيته ولبس لأمته ودرعه واعتم وتقلد السيف : وعاد الذين يلحون في الخروج يقولون : (يارسول الله ، ماكان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك فقال لهم رسول الله : قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه) .

★ واختلف الصحابة في صلح الحديبية وأراد بعضهم دخول مكة عنوة عجلة منهم وقصوراً عن فهم الموقف .

★ واختلف الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ فمنهم من سلم بموته ومنهم من

---

(١) الأنفال ٤١ .

(٢) الأنفال ٦٧ .

كبر عليه أن يموت رسول الله كما يموت الناس حتى جاء الصديق رضي الله عنه وتلا على الناس في المسجد قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [1] فمن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات .

- ✯ واختلف الصحابة فيمن يتولى الخلافة بعد رسول الله : الأنصار أم المهاجرون وأدلى كل فريق بحجته وتمت البيعة لأبي بكر رضي الله عنه .
- ✯ واختلفوا حين أراد أبو بكر الصديق أن يجمع القرآن في كتاب واحد بعد أن استحر القتل في القراء في معركة اليمامة ثم شرح الله صدورهم لقبول الفكرة وجعل الله فيها خيراً كثيراً .
- ✯ واختلف في حرب المرتدين فكان رأي عمر أن يدخل أبو بكر بيته ويغلق عليه بابه ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ولكن أبا بكر خاطبه قائلاً : (أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام ياعمر والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليه) [2] .
- ✯ واختلف الصحابة في عهد عمر بن الخطاب في شأن الأراضي المفتوحة بالعراق والشام هل تقسم قسمة الغنائم وتوزع على الفاتحين أم تمسك لتكون فيئاً للأجيال المتعاقبة .

وتتابعت الاختلافات ولكنها كانت اختلافات المؤمنين الملتزمين وليست اختلافات الأهواء والمصالح الشخصية . فعلى صاحب الحوار عند اختلاف وجهات النظر ألا يخرج عن طوره فيركب رأسه ويغلق منافذ فكره ويسير وراء تعنته وكبره بل يصدق الله القصد والنية ويفتح صدره للرأي المخالف ويذكر حديث رسول الله ﷺ (من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد) [3]

---

(١) آل عمران ١٤٤

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/ ٢٩٥ .

(٣) جاء في كتب السنة بلفظ (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب له أجران .. الحديث ، أخرجه أصحاب الكتب الستة وأحمد .

المسلم طالب حق

المسلم طالب حق ، باحث عن الحقيقة ، ينشد الصواب ، ويفر من الخطأ . وقد كان من عادة اليهود أن يخلطوا الحق بالباطل ، تلبيساً على الناس ، وتوصلاً إلى ما يريدونه من الضلال ، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك بقوله : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] وقال سبحانه يصف أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى ، الذين يعرفون أن ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام هو الحق ، وهو موجود في كتبهم ولكن بعض علمائهم وأحبارهم يخفون هذا الحق : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2]

يقول رسول الله ﷺ : (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها)[3] ويعرف الكبر وهو داء نفسي خطير يتهدد الإيمان بأنه رد الحق وإنكاره ، وعدم قبوله ، واحتقار الناس ، وذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم[4] وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس) .

فإنكار الحق وعدم قبوله ، أو إخفاؤه وستره ، من صفات اليهود والنصارى وهو أمر خطير يهدد مصير الإنسان في الآخرة ، لذلك كانت عناية علماء السلف رحمهم الله منصبة على تخليص النية من الشوائب في المناقشات والمناظرات وفي ذلك يقول الإمام الغزالي[5] في أثناء حديثه عن مظاهر الخلاف ، وآفات

---

(١) البقرة ٤٢ .
(٢) البقرة ١٤٦ .
(٣) رواه الترمذي (علم ١٩) وابن ماجه (زهد ١٥)
(٤) كتاب الإيمان .
(٥) الأحياء ١/ ٤٢ .

المناظرة والجدل : (التعاون على طلب الحق من الدين ، ولكن له شروط وعلامات ... منها : أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق .. فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته إلى الحق ، وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل : وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه ، فقال : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كذا وكذا ، فقال : أصبت ، وأخطأت ، وفوق كل ذي علم عليم) .

النيـــــة

ينبغي ألا يدخل الداعية في حوار ما إذا لم يكن متأكداً من أن نيته لله عز وجل ، فليس المقصود أن يظهر من خلال الحوار براعته ، وثقافته وأن يتفوق على الآخرين ويبز نظراءه وأنداده ، أو أن ينتزع الإعجاب والثناء فذلك كله أمر يحبط عمله عند الله عز وجل ، ويفسد عليه أمره لدى الناس وعليه أن يتذكر أنه قبل كل شيء داعية إلى الله عز وجل ، وبالتالي ينبغي أن يحذر حذراً شديداً من كل ما يفسد هذه المهمة الجليلة : يروى أن أحد الأبناء قال لأبيه : يا أبت أراك تنهانا عن المناظرة وقد كنت تناظر ، فقال له أبوه : (يابني كنا نتناظر وكأن على رأس أحدنا الطير مخافة أن يزل صاحبه ، وأنتم تتناظرون وكأن على رأس أحدكم الطير مخافة أن يزل هو فيغلبه صاحبه) . وفي التأمل في هذه الواقعة الرائعة درس عميق في تحرير النية وتنقيتها وإخلاصها لله عز وجل .

لذلك على الداعية ، أن يقوم بمراجعة لنيته قبل أن يدخل في حوار فيسأل نفسه : هل نيتي خالصة لله في هذا الحوار أو هذه المناقشة ، أم أنني سأتكلم تحقيقاً لشهوة الكلام التي تعتري كثيراً من الناس ؟ ثم ، إذا كانت نيتي خالصة فهل هناك مصلحة وفائدة ترجى من كلامي ؟ أم إنه قد يسبب آثاراً هي خلاف ما أحب ، كأن يثير فتنة نائمة ، أو يفتح باب خلاف بين المسلمين كان مسدوداً ؟ وعلينا هنا أن نتنبه إلى تلبيس إبليس علينا ، فهو يوهمنا أننا سنتحدث إحقاقاً للحق وتبياناً له ، ثم يستدرجنا إلى مواقف ليتحقق فيها هوى النفس ، ولنتدبر بعض ماورد في هذا المجال من آيات كريمة ، وأحاديث شريفة ، يقول الله عز وجل : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [1]

---

(١) النساء ١١٤ .

ويقول جل جلاله : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [1]

وحين سأل معاذ بن جبل رسول الله ﷺ عما إذا كنا مؤاخذين بما نقول قال له المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام (ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) [2]

ومن نصائح الرسول الكريم ﷺ لأبي ذر (عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك) [3]

وقال عليه الصلاة والسلام (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) [4]

وقال أيضاً : (من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه) [5] : وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (والذي لا إله غيره ، ما على ظهر الأرض شئ أحوج إلى طول سجن من لسان) [6]

والعبرة المستفادة من ذلك ، أن يملك المرء لسانه ، لأن كل كلمة سوف يحاسب عليها ، وأن يحرر نيته ويتأكد من خلوصها لله عز وجل ، قبل الدخول في أي حوار .

ومن أجل ذلك كان عليه أن يفرح إذا ظهر الصواب على لسان غيره ، فتحدث شخص سواه بفكرة صحيحة لأن المهم إظهار الحق وليس مقدرة فلان أو فصاحة علان .

وإذا أدلى أحد من الحضور بفكرة أو بين رأياً ، فليحذر أن يكرره حتى لو كان مقتنعاً به ، أو كان يرغب في قوله قبل أن يسبق إلى ذلك ، ولنعلم أن الأفكار ليست ملكاً لنا ، والصواب ليس حكراً علينا ، وينبغي أن نكون سعداء بأن تنتشر الفكرة الصحيحة بجهود سوانا حتى لو كنا سابقين لهم في تبينها ، لأن ذلك دليل

---

(١) ق ١٨ .
(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
(٣) أحمد .
(٤) أحمد .
(٥) أحمد .
(٦) الطبراني .

على صدقنا مع الله عز وجل ، ثم مع أنفسنا ، وهو دليل كذلك على أننا من حب الخير وسعة الأفق ، وإنصاف الآخرين ، والتخلص من حظوظ النفس بحيث نكون مخلصين للفكرة نفرح لانتصارها ، ونسعد بإنتشارها لا أن نكون من الأثرة وضيق الأفق ، بحيث نتوهم أن الفكرة ملك لنا ، نتبناها وحدنا ، وندافع عنها وحدنا ونساء إذا جاء آخر يدعو لها وننظر إليه كما لو كان قد سلبنا شيئاً خاصاً بنا .

وبعد فإن من البديهي ، أن يكون المحاور الإسلامي صادقاً مع الله ثم مع نفسه مقتنعاً بما يقول ، مستقيماً عليه ، حتى يصدق قوله عمله ، وينتفع به الآخرون إذ يرونه في مقام القدوة الصالحة التي لا تناقض في شخصيتها والتي تدعو بسلوكها كما تدعو بقولها ، أما إن كان مخالفاً لذلك ، فهو سوف يضر نفسه باكتسابه الإثم إذ يخالف بين قوله وعمله ، ويضر دينه لأنه سوف يكون عنصر صد وصرف عنه .

ومما نؤكد عليه ضرورة توقف المحاور عن الاستمرار في النقاش إذا وجد نفسه قد تغيرت ودخلت في مسارب اللجج والخصومة والعناد إمتثالاً لقول رسول الله ﷺ : (إنّ أول شئ نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء)[1] . وقوله : (إني زعيم أو كفيل ببيت في وسط الجنة لمن ترك المراء وهو محق ، وببيت في أرباضها لمن تركه وهو مبطل) [2]

(١) ورد بلفظ (... الأوثان شرب الخمر وملاحاة الرجال) رواه البزار والطبراني وسنده ضعيف .
(٢) أخرجه بنحوه الترمذي في البر وأبو داود في الأدب وابن ماجه في المقدمة وإسناده حسن .

الظـــرف المناســـب

ينبـغي للمـحاور أن ينظر في الظروف التي تحيط به قبل أي حـوار ، هل هي مناسبة للحوار والمناقشة أم لا ؟

والظروف المحـــيطة ثلاثة : ظروف المكان ، وظروف الزمـــان ، وظروف الإنسان .

أما المكان :

فقد يكـون نادياً عاماً ، أو بيت ، أو مكتب عمـل ، وقد يكـون طـــائرة أو سيارة أو نزهة .

وأما الزمـــان :

فمن حيث اتساعه للموضوع الذي يطرح للحوار ، هل هو متأخر والناس يفضلون النوم ؟ أو سابق لطعام والناس جياع ؟ أو هم في ضيق من الوقت بسبب استعداد لسـفر ؟ .

وأما الإنســـان :

فلابد من مراعاة حالة الحضور ، وهل هم على مستوى المناقشة أم أعلى أم أدنى ؟ وهل فيهم من سوف يتدخل بشكل يفسدها ويضيع إمكانية الانتفاع منها .

فإذا استطاع المحاور أن يلاحظ الظرف المناسب من هذه الجهات الثلاث ورآه مناسباً ، أخلص نيته لله ودخل في الحوار وإلا سكت أو تريث .

وعليه أن يتذكر جيداً أنه مطالب بحسن انتقاء المعلومات التي يحاور بها . فما يصلح أن يروى أمام الخاصة قد لا يصلح إيراده أمام العامة ، وما يتقبله الناس في بلد قد يرفضونه في بلد آخر ، ومن قديم قالوا : ما كل ما يعلم يقال ، ولكل مقام مقال ، وهما حكمتان نفسيتان ينبغي ألا تغيبا عن أي محاور حكيم .

العـــلم

لا تناقش في موضوع لا تعرفه جيداً ، ولا تدافع عن فكرة إذا لم تكن على اقتناع تام بها . فإنك إن فعلت ، عرضت نفسك للإحراج ، وأسأت إلى الفكرة التي تحملها وتدافع عنها لأن أغلب الناس يميلون إلى تجسيد الفكرة المجردة في شخص حاملها ، ويعتبرون انتصاره انتصاراً لها ودليلاً على أنها حق ، كما يعتبرون انهزامه في الدفاع عنها انهزاماً لها ودليلاً على أنها خطأ أو باطل ، واذكر دائماً قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (١) .

لذلك على المحاور أن يعد مادته إعداداً جيداً ، فالإتقان من صفة المؤمن والله عز وجل يحب اذا عمل أحدنا عملاً أن يتقنه ، ثم إن الإتقان يساعده على أداء مهمته في الحوار وذلك حين يعرض معلوماته عرضاً جيداً ، مما يجعل سامعيه يجدون ما هو جدير بالاستماع . وبإختصار : الإتقان مرضاة لله عز وجل ثم هو مظهر لاحترام الإنسان لنفسه ، واحترامه للآخرين .

فإذا تكلم فليكن دقيقاً فيما يقول ، محترساً في انتقاء كلماته وتحديدها خوفاً من أن يجره الحديث فيما فيه مصلحة إلى ما لا مصلحة فيه ، وليتذكر دائماً كلمة الخليفة عمربن عبد العزيز التي جعل فيها الكلام أقساماً ثلاثة : قسم استبان الرشد في الحديث فيه فوجب ، وقسم استبان الخطأ في الحديث فيه فوجب الصمت ، وثالث تساوى فيه الأمران فحسن السكوت خوفاً من أن يجر الحديث في المباح إلى الحديث في غير المباح .

والقرآن الكريم يرسم طريق الدعوة إلى الله تعالى على أساس من العلم اليقيني والحجة الدامغة والبصيرة النافذة لأن الظن لا يفيد علماً ولا يغني من الحق شيئاً .

---

(١) الإسراء ٣٦ .

والبصيرة التي أشار إليها القرآن الكريم هي التي تعصم الداعية عن القول بغير علم وتوقفه عن محاجة غيره بدون دراسة للموضوع وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] .

فموضوع الحوار والعلم بتفاصيله والمتسلح بالحجج والبراهين المؤيدة له سلاح فعال في يد المحاور الناجح ، يمكنه من الوقوف على أرض ثابتة وليس على رمال متحركة ، وحق الاعتراض والتخطئة والتصدي للمحاورة والجدال لا يتأتى لجاهل في مواجهة عالم ، بل ولا يقبل منه ، ومن لا يعلم لا يصح له أن يتصدى لمن يعلم ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

وخير ما يستعين به المحاور عند إرادته الحوار في موضوع معين أن يجمع أطراف الموضوع ، ويتصور جميع احتمالاته ووجوهه ، ويطلع على ما كتب فيه من مؤيدين ومعارضين ، وأن يكون صاحب نظر ثاقب وخبرة عالية بظروف الزمان والمكان وتطورات العلوم والمعارف وطبائع النفوس ونزواتها ، وكلما أحسن في عرض معلوماته وإثبات أفكاره استجابت له المشاعر ، وكذلك الاسترشاد بآي الذكر الحكيم والوقوف على مختلف التفاسير وأسباب النزول ، وما يتعلق بالآيات من أحكام فقهية وأيضاً الإطلاع على الأحاديث النبوية التي لها علاقة بالموضوع وشروحها المختلفة في كتب الأحاديث المعتمدة كل ذلك مما يدعم موقف المحاور ويشد أزره .

وقبل ذلك وبعده ومعه لابد أن يكون المحاور صادقاً مع نفسه ومع أفكاره التي يدعو إليها حتى يخرج من عداد الذين عناهم الرسول ﷺ بقوله : (لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار)[2]

---

(١) يوسف ١٠٨ .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه .

ليس الناس طرازاً واحداً

تتفاوت عقول الناس ، وأفهامهم ومستويات ثقافتهم ، والأدلة التي تصلح لزيد من الناس قد لا تصلح لعمرو وطريقة المناقشة والمحاورة التي يتقبلها هذا ربما لا يتقبلها ذلك . والمحاور الفطن يعرف من يحاور وبالتالي يعرف الطريقة التي ينبغي له أن يناقشه بها ويحاوره .

لذا يجب على المحاور أن يعرف مستوى الطرف الذي يحاوره ، في العلم والفهم ، فإن الطالب لا يخاطب كما يخاطب العالم ، والكبير لا يخاطب كما يخاطب الصغير أو النظير وعليه ألا يفترض - مسبقاً - في محاوره الذكاء فيكلمه بحيث لا يفهم ، ولا الغباء فيشرح ويبين ما لا يحتاج إلى شرح وبيان . كما عليه أن يعتقد أنه ربما يكون هو مخطئاً والطرف الآخر على صواب . فالله سبحانه وتعالى لم يحاجه ويختصه من دون خلقه بالعقل والعلم والفهم .

ومن المفيد جداً في معرفة الطرف الآخر أن تسأله أسئلة محايدة بطريقة توحي أنك تشاركه في بعض قناعاته ، وبذلك تستطيع أن تسبر غوره دون أن تستفزه .

مثلاً : كان أحدهم يحاور رجلاً يلقاه للمرة الأولى في موضوع المدنية الحديثة ولا يعرف حقيقة موقفه منها ، فقال له : قضية المدنية الحديثة والحكم لها أو عليها مسألة متشابكة ، ذلك أنها أعطتنا الكثير من جانب ، وسلبتنا الكثير من جانب آخر ، أعطتنا راحة الأجسام ووسائل حديثة وتقدماً صحياً ونظافة واتصالات متطورة ، وسلبتنا هدوء البال وصفاء النفس وبساطة العيش . ترى هل الصفقة في مجموعها كاسبة أم خاسرة ؟

مثل هذه الطريقة توحي بالحياد ، وتوحي أن السائل ليس له رأي في القضية المطروحة وأن قناعته مترددة متأرجحة وأنه يود أن يسمع من الطرف الآخر ما يساعده على تكوين موقف .

وبهذا يحسن التلطف في الدخول إلى قلب صاحبه ، ويعرف - وهذا هو الأهم هنا - طريقة صاحبه في الحوار ورأيه وقناعته .

لا تستأثر بالكلام

ويجب على المحاور (والمتحدث بصفة عامة) ألا يستأثر بالكلام لنفسه ، ويحرم الطرف الآخر (أو الحاضرين) من الكلام بالإطالة التي تخرج به عن حدود الذوق واللياقة فالاستئثار بالكلام كالاستئثار بالطعام ، كلاهما منقصة بصاحبه .

ومن هنا كان على المحاور أن يراعى الوقت في أثناء كلامه ، فإذا كان في مؤتمر وأعطى دقائق معينة إلتزم بذلك ، وإذا لم يحدد له الوقت ، حدده هو من تلقاء نفسه حسب طبيعة الموقف ، وإذا كان حديثه في مسجد بعد صلاة الصبح مثلاً، تكلم دقائق معدودة مراعاة لحاجة الناس للانصراف بسبب نوم أو برد أو شغل ، هذا بخلاف ما إذا تحدث في نزهة أو بستان ، وكان السامعون مستريحين والموقف يسمح بالتوسع .

ومن قديم توارث الناس الحكمة التي تقول : إن الله خلق للإنسان لساناً واحداً وأذنين اثنتين ليكون ما يسمعه أكثر مما يقوله .

إن الإطالة في الكلام آفة الخطباء والمحدثين والمحاورين - في الأغلب - وضررها أكبر بكثير من نفعها على الداعية وعلى الدعوة .

ولعل أسباب الإطالة - في معظم الأحوال - ترجع إلى مايلي :-

١ - إعجاب المرء بنفسه وتصوره أن علمه جديد على الناس .

٢ - حب الشهرة والثناء .

٣ - الغفلة عن تقدير الطرف الآخر من حيث العلم والوقت والموقف .

وإذا كان على الداعية أن يتذكر هذه الأمور الثلاثة حتى يتجنبها ، فإن عليه أيضاً أن يتذكر أمرين أساسيين في حسبانه وهو يتحدث .

١ - أن السامع - في الأغلب - لا يستطيع أن يتابع بانتباه وتركيز أكثر من ١٥ دقيقة متوالية ، يصيبه بعدها التعب والشرود ، ويود أن يستريح حتى يجد مشوقاً آخر .

٢ - أن الكلام في المجال الديني معروف للمسلمين في حالات كثيرة خاصة عند من تجاوزوا الثلاثين ، إذ يكون معظمهم قد سمع وقرأ ومرت به جوانب شتى من الثقافة الدينية في المدرسة والمسجد والكتاب وما إلى ذلك [١]

(١) عبد البديع صقر - كيف ندعو الناس - ص ٥١ .

حسن الاستماع

المتحدث البارع مستمع بارع فكن حسن الاستماع ، ولا تقاطع من تحاور بل استمع إليه كما تحب أن يستمع إليك . إن كثيراً من الناس يخفقون في ترك أثر طيب في نفوس من يقابلونهم لأول مرة لأنهم لا يصغون إليهم باهتمام . إنهم يحصرون همهم فيما سيقولونه لمستمعهم ، فإذا تكلم المستمع لم يلقوا له بالاً ، علماً بأن أكثر الناس يفضلون المستمع الجيد على المتكلم الجيد .

يقول ديل كارنجي في كتابه القيم (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس) [1] : (إذا كنت تريد أن ينفض الناس من حولك ، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك ، فهاك الوصفة : لا تعط أحداً فرصة الحديث ! تكلم بغير انقطاع ٠٠ وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديثه . فهو ليس ذكياً مثلك ٠٠٠ فلماذا تضيع وقتك في الاستماع إلى حديثه السخيف ؟ اقتحم عليه الحديث ، واعترض في منتصف كلامه) .

وقديماً قال الشاعر العربي :

من لي بإنسان إذا خاصمته ... وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا صوت إلى المدام شربت من ... أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بسمعه ... وبقلبه ولعله أدرى به

وحديثاً قال الشاعر الآخر :

إن بعض القول فن ... فاجعل الإصغاء فناً

وقد تجعلك الظروف تسمع طرفاً آخر يتحدث وفي كلامه ما ينبغي أن يراجع

---

(١) ص ٩٧

فيه ، تعليقاً أو تصحيحاً أو إيضاحاً . وهنا قد يكون من المفيد أن يكون بين يديك قلم وورقة تسجل عليها ماتود تسجيله حتى إذا ما جاء دورك في الحديث أفضيت بما لديك ، دون أن يكون قد فاتك شيء مما تريد قوله ، وهذا أفضل بكثير من أن تقطع حبل أفكار الآخرين فيضيقوا بك ذرعاً .

يقول ابن المقفع :

(تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه وقلة التلفت إلى الجواب والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول) .

ومن وصية الحسن بن علي رضي الله عنهما لابنه مؤدباً إياه : (يابني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك) .

راقـــب نفســـك

انتبه لنفسك وأنت تحاور أو تناقش : هل ترفع صوتك ؟ تذكر نصيحة لقمان لابنه : ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (١)

انتبه إلى نفسك : هل أنت مستعل بعلمك ؟ وهل يبدو هذا الاستعلاء في ملامح وجهك أو لهجة كلامك ، أو إشارة يديك ؟ عدل طريقتك فوراً ، وإذا أسأت فاعتذر ، ولا تستسلم لعاطفتك ، فتتحول من مناقش إلى خطيب ، لا تكرر نفسك أو غيرك ، فإن الناس قد سئموا التكرار .

لقد جرت عادة أكثر الناس خلال حواراتهم ومناقشاتهم أن يجعلوا إنتباههم يتركز على الطرف الآخر ، لمعرفته وسماع حجته ، واستيعابها والرد عليها ، لكن الذين يغفلون عنه هو أن يراقب الإنسان نفسه ، ليحكم سيطرته عليها ، على نوازعه ولسانه وصوته ، وعلى طريقته في الرد أو الاستفسار ، فالإنسان قد تنفلت منه كلمة نابية ، أو عبارة حادة ، أو جملة فيها رائحة الأستاذية والتعالم ، والتعاظم مما يكون له أسوأ الآثار على الحوار .

لذلك ، على المحاور الحكيم ، أن يراقب نفسه ، بنفس الدرجة من اليقظة والانتباه التي يراقب فيها الآخرين ، وليتذكر دائماً إنه بالقدر الذي يظهر فيه مسيطراً على نوازعه ولسانه وصوته وطريقته في الآداء يفوز باحترام الآخرين ، وهذا من ألزم ما يلزمه كرجل ينشد الحق ، ويبحث عن الصواب ويريد الهداية للآخرين ، وعليه ألا ينسى نفسه في خضم تدافع الخواطر فيسترسل أكثر مما ينبغي .

احذر من أن تستدرج إلى ما يفقدك السيطرة على نفسك ، أو أمانتك العلمية ، فهناك بعض الناس لا يبحثون عن الحقيقة ، ولا يجادلون إلا بالباطل ،

---

(١) لقمان ١٩ .

تدربوا على فن المناظرة والجدل ، لا يتقون الله فيما يقولون ، ولا يتورعون عن سوق الأفكار المضللة ، وقد يعمدون إلى الكذب الرخيص بغية إحراج من يناظرون من العلماء أو المفكرين أو الدعاة ، أو أصحاب المبادئ .

والسيطرة على النفس أمر ليس سهلاً ، فهو يحتاج إلى تدريب نفس طويل ، ومن أنجح وسائله محادثة النفس في أوقات الهدوء وإقناعها - وهي بعيدة عن حلبة المناظرة - إن الانفعال الذي يخرج بها عن حدودها فيه أذى لها ، وللفكرة التي تحملها . لذلك كن هادئ النفس ، منبسط الأسارير ، وابتسم إن استطعت .

وحاول أن تجعل لك محطات في الحديث تراجع فيها نفسك وتسائلها : هل أنت ملتزم بما سبق أن هيأته من أفكار ؟ وهل أخرجك النقاش عن جادة الإتزان ؟ وهل الأفضل أن تستمر على هذا النسق أم الأفضل أن تعدل من انفعالاتك وطريقتك في الحديث ؟

إن مثل هذه المحطات ذات فائدة كبيرة لأنها تجعل أمرك في يدك وتظل مسيطراً على نفسك متحكماً في لسانك وتعرف متى تتكلم ومتى تسكت .

وعلى المحاور أن يتأنى حرصاً على الفهم وأن يحذر العجلة في الحكم ، وإذا غاب عنه معنى أو فاته فلا يمنعه الخجل أن يطلب استعادته ويستوثق من القصد قبل أن يتجه إلى النقد .

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله لأحد تلاميذه : (أصلحك الله لا تكونن منك العجلة ، وتثبت في الفتيا ، فإن أنكرت شيئاً مما أذكره لك فسل عن تفسيره إن كنت مناصحاً ، فرب كلمة يسمعها الإنسان فيكرهها فإذا أخذ بتفسيرها رضي بها ، ولا تكونن كالذي يسمع الكلمة فيكررها ثم يغتنمها إرادة الشين فيذيعها في الناس ، ولا يقول عسى أن يكون لهذه الكلمة تفسير ووجه عدل لا أعلمه ، أفلا أسأل صاحبي عن تفسيرها ؟ أو لعلها كلمة جرت على لسانه ولم يتعمدها فينبغي لي أن أتثبت ولا أفضح صاحبي ولا أثنيه حتى أعلم وجه كلامه) .

ومن موجبات الحذر أن تستوعب الموقف الذي أنت فيه فلا تسارع إلى الحديث من غير ضرورة ولا تثير الحضور من غير حاجة .

يقول أبو عمرو بن العلاء : (ليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك أو تسأل من لا يجيبك أو تحدث من لا ينصت لك) .

ومن حسن السمت وكمال الأدب ما أشار به إبراهيم بن أدهم : (الحزم في المجالسة أن يكون كلامك عند الأمر والسؤال بالمسألة في موضع الكلام على قدر الضرورة والحاجة مخافة الزلل فإذا أمرت فأحكم وإذا سئلت فأوضح وإذا طلبت فأحسن وإذا أخبرت فحقق واحذر الإكثار والتخليط فإن من كثر كلامه كثر سقطه) .

ورحم الله القائل :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

البيـــــان

إن قوة التعبير ، وفصاحة اللسان ، وحسن البيان من أركان المناقشة الجيدة ، والحوار الناجح ، فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه ، وكم من باطل ظهر لأن الذي يدعو إليه فصيح بليغ ، وقد كان أمير الشعراء أحمد شوقي لا يلقى قصائده بل يلقيها عنه سواه ، لأنه لا يحسن الإلقاء ، ولو ألقى هو قصيدته لذهب بشطر جمالها .

لذلك ينبغيَ للمحاور الجيد أن يضبط كلامه ويتقن لغته - ما أمكن - لأن الكلام المحكم الجميل ، الذي يخلو من الخطأ ، والذي تتضح فيه مخارج الحروف والذي يتوالى بانتظام واسترسال وترتيب ، يترك أحسن الأثر في السامع الذي يفهمه ويجعله يحترم قائله ، لأنه يراه رجلاً محيطاً بما يقول ، قادراً على الإفصاح والإيضاح .

يضاف إلى هذا المعنى أن اصطياد المناسبة الملائمة لقول طُرفة ، أو إزجاء دُعابة أو رواية نادرة ، أو استحضار شاهد مناسب ، أو واقعه مستملحة ، فضلا عن حضور البديهة وسرعة الجواب من أهم ما يتسلح به المحدث الناجح والمحاور البارع .

ولنذكر أنه عندما كلف الله موسى عليه السلام بالتوجه إلى فرعون ودعوته لعبادة الواحد القهار سأل الله تعالى جملة أشياء تعينه على تلك المهمة الشاقة منها أن يحل عقدة لسانه ويرزقه الفصاحة والبيان فقال مخاطباً رب العزة والجلال : ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ (١)

وليس من البيان استخدام الغريب من الألفاظ ، وما أجمل ما أوصى به الله

---

(١) طه ٢٧ - ٢٨ .

عز وجل رسوله الكريم إذ أمره أن يقول : ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [1]

وما أجمل حديثه ﷺ حينما يقول : (وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون) [2]

والثرثارون هم الذين يتكلفون كثرة الكلام .

والمتشدقون هم الذين يتطاولون على الناس بكلامهم .

والمتفيهقون هم الذين يتكلمون بملء أفواههم ويتوسعون في الكلام إظهاراً لفضلهم على غيرهم .

وهكذا نرى أن سلاسة الكلام ووضوح العبارات والاعتماد على السهل المألوف من الألفاظ يسهل المهمة ويساعد على الفهم المشترك ، بل وقد تغني الإشارة عن العبارة وتؤدي إلى تصحيح الأخطاء التي تقع من الآخرين بطريقة غير مباشرة تجعلهم يدركون خطأهم مع الاحتفاظ بماء وجوههم ، فهذان سبطا رسول الله ﷺ ، الحسن والحسين رأيا رجلاً لا يحسن الوضوء وقد منعهما الحياء أن ينبهاه إلى ذلك مباشرة فتشاورا بينهما ثم أتياه وطلبا منه أن يحكم بينهما أيهما أحسن وضوءاً من أخيه وأخذ يراقبهما وهما يتوضآن فتبين له أنه لا يجيد الوضوء مثلهما وأنه هو المعني بالبيان .

---

(١) سورة ص ٨٦ .
(٢) رواه أحمد والترمذي .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأمثـــلة

المتـحـدث الناجح ، والمحـاور الذكي ، هو الذي يحـسن ضـرب الأمـثلة ويتخذها إما وسيلة لتقريب وجهة نظره من السامع وشرحها ، وإما لإقناعه بفكرته ، والأمثلة الجيدة تفيد مع العالم كما تفيد مع من دونه ، وتؤثر على الكبير كما تؤثر على الصغير . وقد ضرب الإمام الغزالي رحمه الله مثلاً لمن يأمر بالمعروف بفظاظة وغلظة بأنه كمن يزيل الدم بالبول ، لأن طريقته المنفرة هي في حد ذاتها منكر ، قد يكون أكبر من المنكر الذي ينهى عنه . فشبه فعله بالبول ، وفعل صاحبه بالدم كلاهما نجس لكن نجاسة البول أغلظ .

ومن أجمل الأمثلة ما روي عن أحد العلماء وهو يضرب مثلاً لعظمة الخالق وقدرته فقال : هذا ورق التوت لونه واحد وطعمه واحد ، يأكله الدود فيخرج منه الحرير ، ويأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر فتلقيه بعراً أو روثاً وتأكله الظباء فتخرج منه المسك ، وهو شئ واحد فتبارك الله أحسن الخالقين .

لقد أوضح هذا المثال بطريقة عملية جانباً من جوانب القدرة الآلهية بإسلوب واقعي يحـرك الفطـرة ، ويسـتثير كوامن النفس ، ويجـعلها تهتف من أعمـاقها : ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [1]

ولو أن محدثاً تحدث عن الإيثار وأخذ يبين فضائله ودلالاته على كرم صاحبه ونفسه السامية ، وبقى حديثه نظرياً فقط ، ما كان ليبلغ أبداً من التأثير على السامعين ما كان سيبلغه لو أنه أورد قصة الجرحى الثلاثة في معركة اليرموك الذين آثر كل منهم صاحبه بالماء حتى فاضت أرواحهم جميعاً ، خاصة إذا رواها بأسلوب شيق ، ولغة جميلة ، وركز على المواضع التي تحرك الوجدان وتستجيش أعماق الفطرة .

---

(١) يس ٣٨ .

النقـــاط المشـــتركة

حين يتحدث الداعية عليه أن يبدأ في حديثه من نقاط الاتفاق ، فيبدأ بالمسلمات والبديهيات ، فالحديث على هذا النحو من شأنه أن يطيل أمد الحوار ، ويجعل بداياته هادئة من ناحية ، منطقية من ناحية أخرى وهذا كله مؤشر إيجابي على احتمالات النجاح ، ثم إن البدء بنقاط الاتفاق قد يفتح آفاقاً للتلاقي لم تكن واردة في الحسبان ، وهذا يقلل الفجوة ، ويوثق الصلة ويجعل فرض الخير أفضل ، واحتمال الشر أقل . أما إذا بدأ الحديث بما هو موضع خلاف أو نزاع أو وجهات نظر متعارضة ، فإن ذلك قد ينسف الحوار من أوله أو على الأقل يغير القلوب ، ويكدر الخواطر ، ويجعل المتحاورين يفكرون بما يرد به بعضهم على بعض أكثر مما يفكرون في صحة الفكرة المطروحة ، ويتناقشون في غلبة بعضهم أكثر مما يتناقشون في خدمة الهدف الذي أقيم من أجله الحوار ابتداء .

إن المحاور الذي يبدأ بتقديم نقاط الاتفاق بينه وبين الطرف الآخر ، إنما يبدأ في الحقيقة بكسب ثقته ، ويبني معه جسراً من التفاهم إلى الأمر محل الخلاف ، يقول ديل كارنيجي [1] ما معناه : (دع الطرف الآخر يوافق في البداية على الأمثلة التي تطرحها عليه ، ويجيب بـ « نعم » وحل - ما استطعت - بينه وبين « لا » لأن كلمة « لا » عقبة كؤود يصعب التغلب عليها ، فمتى قال أحد « لا » أوجبت عليه كبرياؤه أن يظل مناصراً لنفسه .. إن قول « لا » هو أكثر من مجرد التفوه بكلمة مكونة من حرفين إن كيانه بغدده ، وأعصابه ، وعضلاته ، يتحفز ليناصره في إتجاهه إلى الرفض ، بينما لا يكلف قول « نعم » أي نشاط جسماني).

ويقال : إن سقراط ، حكيم اليونان وفيلسوفها الشهير كان يتبع هذا الأسلوب ، كان يبدأ مع الطرف الآخر بنقاط الإتفاق بينهما ، ويسأله أسئلة لا يملك الإجابة عنها بغير « نعم » ويظل سقراط يكسب الجواب تلو الجواب ، حتى يرى مناظره نفسه أنه مقر بفكرة كان ينكرها قبل قليل .

---

(١) كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس ص ١٥٣ .

إقفـــال المناقشـــة

في بعض الأحيان يجد المناقش أن شقة الخلاف بينه وبين الطرف الآخر كبيرة جداً ، وأن هناك إختلافاً على أمور أساسية مدة لا يسمح الوقت بمناقشتها ، أو تكون مناقشتها مع هذا الشخص بالذات تضييعاً للوقت ، وتبديداً للجهد ، عند ذلك يكون من الأفضل إقفال المناقشة بطريقة لبقة ذكية تشعر أن الطرف الأول لم ينسحب عجزاً ، أو يترك النقاش هزيمة ، كما ينصح بإقفال المناقشة إذا لم يكن الشخص الآخر جاداً ، باحثاً عن الحقيقة ، أو كان دون المستوى المطلوب للخوض في الموضوع محل النقاش .

تحاور داعية يعمل مدرساً مع زميل له شيوعي يهاجم حجاب المرأة بشدة ولما أحس الداعية أن التباين في وجهات النظر أبعد من قضية الحجاب لأنه خلاف في الأسس والمنطلقات ، رأى قفل المناقشة بطريقة حكيمة دون أن يظهر أن ذلك بسبب عجز .

قال له : أنت مدرس رياضيات فأرجو أن تجيبني على السؤال التالي : هل يمكن دراسة معادلة من الدرجة الثالثة ، أو حل مسألة رياضية معقدة دون الاتفاق على الأساسيات الأولى في الرياضيات ؟ قال له : بالطبع لا .

قال الداعية : كذلك حالنا مع الإسلام ، لا يمكن أن نناقش قضية الحجاب في الإسلام إلا إذا إتفقنا على الأساسيات الأولى وهي الإقرار بأن الله موجود ، وأن محمداً ﷺ صادق أمين وأنه بعث إلينا بالإسلام وكتابه القرآن . فإذا أقررت معي بذلك كله ، كان بوسعي أن أناقش معك بقية الأمور ومنها الحجاب .

لا أعـــلم

إذا واجـهك مناقـشك أو مناظرك بشئ لا تعـرفـه فـلا تخـجل من السـؤال والإستيضاح ، لأنك إذا سكت فربما تحرج فيما بعد ، وتتهم بالجهل ، وبالتستر على الجهل ، واعلم أن هناك من الأئمة الكبار من كان لا يخجل من أن يقول لا أدري ويتحرج من الفتوى بغير علم تام .

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : أدركت في هذا المسجد (مسجد النبي ﷺ) مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ، ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك .وفي لفظ آخر كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ، ويردها الآخر إلى الآخر حتى ترجع إلى الذي سئل عنها أول مرة .[1]

وروي عن الإمام مالك رحمه الله : أنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة ، فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري . وكان علماء السلف يقولون : إذا أخطأ العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله . ويقولون : ينبغي للعالم أن يعلم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك في أيديهم أصلاً يلجأون إليه فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري .[2]

ذلك أن الشعور بالتبعة ويقظة الضمير عند العالم المخلص تجعله دائماً حريصاً على التثبت والروية وعدم العجلة أو التسرع في إصدار الأحكام أو الفتاوي حتى لا يوقع الناس في فتنة يتحمل وزرها ويسائله الله سبحانه وتعالى عنها يوم القيامة .

ولا ينبغي أن يداخله أدنى شعور بالخوف من الناس أن يشيعوا عنه أنه سئل فلم يجب لأن كثيراً من المزالق يقع فيها العلماء بسبب ذلك .

روى ابن سعد عن نافع : (أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة فطأطأ ابن عمر رأسه ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته فقال له : يرحمك الله أما

---

(١) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ١/٢٧٩ .

(٢) أدب الاختلاف في الإسلام للدكتور طه جابر ص ١٢٦ .

سمعت مسألتي ؟ قال : بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس يسائلنا عما تسألوننا عنه ، اتركنا يرحمك الله حتى نتفهم في مسألتك ، فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك إنه لا علم لنا بها) .

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : (يارسول الله أي البلدان شر ؟ قال : لا أدري ، فلما أتاه جبريل عليه السلام قال : ياجبريل أي البلدان شر ؟ قال : لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل ، فانطلق جبريل عليه السلام ثم مكث ماشاء أن يمكث فقال : يا محمد إنك سألتني أي البلدان شر فقلت لا أدري وإني سألت ربي عز وجل أي البلدان شر فقال : أسواقها)[1] . وكان الصديق رضي الله عنه يردد كثيراً إذا سئل في أمر : (هذا رأيي ، فإن كان صواباً ، فمن الله وأحمد الله عليه ، وإن كان ما قلته غير ذلك فمني ومن الشيطان وأستغفر الله منه) .

ولا ننسى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من جعل الله الحق على لسانه وقلبه وقف يخطب في المسجد عن صداق النساء وضرورة تقليله فاعترضته امرأة بالآية الكريمة : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[2] فقال في شجاعة : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

وليس من قبيل الإحساس بالضعف أن يقول المحاور بينه وبين نفسه وما أبري نفسي فأنا بشر أخطئ وأصيب بل ربما كان الانتصار على النفس والإنصاف منها خير دليل وأكبر شاهد على صدق صاحبها ، فالرجوع إلى الحق دائماً خير من التمادي في الباطل .

---

(١) أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلي .
(٢) النساء ٢٠ .

لا تتعصب وسلم بالخطأ

التعصب هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل ، وهو زراية بالعقل الذي فضل الله به الإنسان على الحيوان ، وقد سبق أن ذكرنا أن المسلم طالب حق ، لا يتعصب لشخص معين ، ولا لفئة معينة ، ولا لرأي معين : فإذا حاورت أو ناقشت أو ناظرت ، فلا تتعصب ودر مع الحق حيث دار .

لو أنك حاورت إنساناً آخر . ووجدته قد تناول مؤسسة تعمل فيها ، أو مقالة كتبتها ، أو محاضرة ألقيتها ، أو جهة تحبها بالانتقاص وتتبع الأخطاء ، فلا تتعصب ولا تبادر بالرد عليه ، ولا تقدم له كشفاً بالإيجابيات كما قدم لك كشفاً بالأخطاء .

دعه - ابتداء - يتم حديثه ، ثم استأذنه في الكلام ، وحاول أن تسلم له بالأخطاء ثم انتقل برفق إلى الحسنات ، يمكن لك مثلاً أن تقول له :

إن الموضوعية والأمانة تجعلني أسلم لك بهذا الخطأ وبذاك ، لكن هذه الموضوعية والأمانة ، تدعوني هي ذاتها إلى أن أكمل لك الصورة فأذكر الصواب وإلا كنا كمن يذكر نصف الأمر ويتجاهل نصفه الثاني .

إن مثل هذا اللون من ألوان الحوار ، يجعلك شاهد حق ، ويبعدك عن التعصب ويجعلك أقدر على أداء فكرتك ، وإيصال رأيك للآخرين .

إن الإنسان بشر يخطئ ويصيب ، ولم يعصم الله سبحانه من الناس إلا أنبياءه ورسله ، فمن الطبيعي إذن أن يخطئ الإنسان في مناقشاته أو حواره مع غيره ، والعاقل هو الذي يسلم بخطئه حالما يتبين له وجه الصواب ، ويشكر لصاحبه إرشاده إليه .

والتسليم بالخطأ صعب على الإنسان الذي لم يعتد عليه ، خاصة إذا أخطأ أمام جمع ، فإنه يشعر بالحرج والخجل الشديدين من خطئه ، والتسليم بالخطأ

يحتاج إلى شجاعة أدبية ، وقوة نفسية ، ومجاهدة للنفس ، ولكن الإنسان متى اعتاده وجد له حلاوة قد تقارب أحياناً حلاوة الفوز والنصر .

والتسليم بالخطأ - بخلاف ما يظن المخطئ أول وهلة - يكسب صاحبه احترام الثاني وتقديره ، على عكس الإصرار على الخطأ الذي يفقده احترام الثاني له ، كما يفقده احترامه لنفسه ، وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[1]

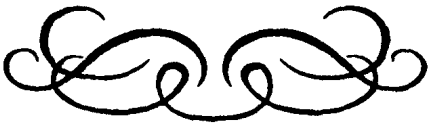

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد والدارمي .

الأمانة والتوثيق

يجمل بالمناقش أن يعزو الأفكار إلى مصادرها ، وأن يولي الاستشهاد والاقتباس ما يستحقان من عناية . وأن يستعين بذكر الإحصائيات التي تخدم رأيه ، والمراجع التي اعتمد عليها ، أو التي يمكن الاعتماد عليها في الموضوع محل البحث ، فإن الحقائق المجردة أقل تأثيراً في النفوس من سوقها مدعمة بالشواهد المعتمدة سواء من الكتاب أو السنة . أو أقوال العلماء والأئمة ، إذا كانت مما له صلة بها . أم من أقوال أهل الإختصاص المعتمدين الموثوقين ، كالنقل عن أساطين الطب في مسائل الطب ، أو تدعيم الكلام بذكر مرجعه من الكتب الأمهات ، أو الموسوعات المشتهرات .

ويحسن بالمناقش أن يترك النقول الضعيفة ، والحجج الواهية ، فدليلان قويان لا يمكن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها ، إذ ربما يستغلها الطرف الآخر فيضعف الفكرة ويسيء إلى موقف صاحبها خاصة إذا كان في محفل من الناس .

لذلك احترم الحقيقة ، وكن أميناً في العرض ، ولا تقطع عبارة عن سياقها ، أو تعزلها عن مناسبتها لتقسرها على خدمة رأيك ، فهذا أولاً منقصة في دينك لأنه أخو الكذب ، وثانياً يعرضك للهزء والسخرية إذا وجد من يكشف تلاعبك بالنصوص ، وتحايلك في الاستشهاد .

ومن احترام الحقيقة ألا تستشهد بآراء وأقوال من لا يطمأن إلى علمه أو أمانته قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (١)

---

(١) الحجرات ٦ .

احتـــرم الطـــرف الآخـــر

على الداعية أن يحترم الأطراف الأخرى التي يحاورها ، مسلمة كانت أم غير مسلمة ويمنحها حقها المتوجب لها من التقدير والتوقير ، ونحن مأمورون أن ننزل الناس منازلهم ، فإذا كان الحوار مع شخص مهم أو كبير في السن ، أو يحتل منصباً مهماً : سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً ، ينبغي أن نحفظ له حرمة المنزلة التي يحتلها حتى لو كان مسيحياً أو يهودياً أو وثنياً ، ونختار الألفاظ المناسبة لمكانته ، ونجامله - بالحق - ونثني على ما فيه من جوانب إيجابية . وهذا كله لا ينافي عزة المؤمن . ولا واجب الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر ، والمهم في ذلك كله ألا نقع في الملق الرخيص ، أو النفاق المرذول ، أو الكذب في إضفاء صفات لا يستحقها المخاطب .

وإن تعاملنا مع الآخرين بهذه الروح الواثقة المؤدبة ، يضفي علينا صفة الذوق والأدب وحسن التأني وهي صفات حميدة يحسن بالداعية أن يتحلى بها ، مما يجعلنا أقدر على الاقناع ، ويجعل فرصة استماع الآخرين لنا أفضل .

يروى أن رجـلاً جاء إلى هارون الرشـيد فقال له : يا أمير المؤمنين إنى أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها : فقال الرشيد : إن الله قد أمر من هو خـير منك بإلانة القول لمن هو شـر مني ، فقال لنبيه موسى إذ أرسـله إلى فرعون ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [1]

وقد مر بنا [2] كـيف خاطب الرسـول ﷺ عتبة بن ربيعة المشرك ، وناداه بكنيته ، وخاطبه بما يليق بمكانته فقال له : (قل يا أبا الوليد أسمع) .

وإذا كنت تحاور شخصاً لا تعرفه من قبل ، فمخاطبته باسمه مقترناً مع ما يقتضي العرف اسـتعماله من لقب (كأن تقـول له : يا أخ فـلان أو يا أسـتاذ فلان

---

(١) طـه ٤٤ .
(٢) ص ٩ .

أو يا أبا فلان) يدل على حسن الاهتمام ، فاسم الرجل هو من أحب الأسماء إليه ، وكذلك إذا خاطبته بـ (يا أخي ، يا عماه ، يا أستاذنا) حسبما يقتضيه المقام .

والمتأمل في حوار إبراهيم عليه السلام وهو النبي خليل الله مع أبيه الكافر عدو الله ، يتعلم منه دروساً كثيرة ، يتصل منها بهذا المقام استفتاح إبراهيم عليه السلام صدر كل جملة بـ (يا أبت) تذكيراً له بالصلة القوية التي تربط بينهما ، وهي رابطة الأبوة والبنوة ، وما يكون عادة بين الوالد والولد من محبة أحدهما للآخر ، وحرصه على مصلحته ، وتضحيته من أجله ، يقول عز وجل : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ (١)

ومن الإنصاف أن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحية ، والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة التي يوردها الطرف الآخر ، ويسلم بها ، وربما يقتبس المحاور من كلام صاحبه في وقت لاحق عبارة جيدة تفوه بها في وقت سابق ، وهذا يفتح قلب الطرف الآخر لقبول آرائه ، ويذهب بروح التحفز التي تسود عادة أجواء المناظرات والمناقشات وتضفي على المحاور صفة الموضوعية .

والمفروض أن تكون الثقة متوفرة بين الجانبين عند إرادة الحوار فلا يؤول الكلام إلا بخير مادام هناك مجال للتأويل الحسن .

وليكن في بالنا أن ذكر الإنسان بما يكره وتنقصه وإظهار جهله وقصوره في العلم - إذا كان المقصود منه مجرد الذم والعيب والنقص - أمر محرم وخاصة إذا كان من العلماء المقتدى بهم في الدين .

---

(١) سورة مريم ٤١ - ٤٥ ، وانظر أيضاً ما مر معنا في ص ٩ .

يقـول الشـاعر العربي :

إذا رمت أن تحيا سليماً من الأذى وحظك مـوفـور وعـرضك صين

لسـانك لا تذكـر به عـورة امرئ فكلك عـورات وللناس ألسـن

ومن المبادئ السلوكية التي تعارف عليها الصالحون : (الإنصاف من النفس وعدم الانتصار لها وأن يوقر صغيرنا كبيرنا وأن يعطف كبيرنا على صغيرنا) .

وعن عمـر بن الخطاب رضي الله عنه : (لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً) .

كان الإمام الشافعي يقول : (ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعاون وتكون عليه رعاية الله وحفظه وما ناظرني أحد فباليت أظهرت الحجة على لسانه أو على لساني) .

أما إذا كان النقاش فيه مصلحة عامة للمسلمين وكان القصد إظهار الحق فإن تبيين الخطأ واجب ليحذر من الاقتداء به وكان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده .

ولو فرض أن أحداً يكره إظهار خطئه المخالف للحق فلا عبرة بكراهته لذلك فإن كراهة إظهار الحق إذا كان مخالفاً لقول الرجل ليس من الخصال الحميدة .

وأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم فيجوز بيان جهلهم وإظاهر عيوبهم دون فحش في القول أو إساءة في النقد وإنما الإنكار عليهم بالحجج الشرعية والأدلة المعتبرة .

وعموماً فإن حلاوة اللسان جاذبة وسلاطته منفرة .

قال أعرابي لرسول الله ﷺ أوصني فقال : (عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشئ يعلمه فيك فلا تعيره بشئ فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئاً) .

قال الرجل : (فما سببت بعده) [١]

وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) . [٢]

ورسول الله ﷺ وهو صاحب الخلق العظيم : (لم يكن بالسباب ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ) [٣]

ومن وصاياه ﷺ : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) . [٤]

(١) أخرجه أحمد والطبراني بإسناد جيد .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه البخاري .
(٤) الترمذي وأحمد .

الفكـرة وصـاحب الفكـرة

فى أغلب المناقشات يحسن تناول الفكرة بالبحث والتحليل ، أو بالنقد والنقض بعيداً عن صاحبها أو قائلها ، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية ، طابعها الطعن والتجريح ، والعدول من مناقشة القضايا والأفكار ، إلى مناقشة التصرفات والأشخاص . ، وفي حالات قليلة يستحب الخروج عن هذه القاعدة ، وذلك عندما تقتضي مصلحة الحق - لا النوازع الشخصية - تعرية الطرف الآخر وبيان ما فيه ، ومع ذلك فيجب أن يتم هذا وفق الأدب الإسلامي على ضوء النصوص الواضحة ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [1]

أي لا يطعن بعضكم في بعض ، ولا يدع أحد أخاه باسم أو وصف يكرهه ، وكقوله ﷺ ، فيما رواه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : (ليس المؤمن بطعان ، ولا لعان ، ولا فاحش ، ولا بذئ) [2] وقوله في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر) [3] وقوله فيما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه : (إن الله لا يحب الفاحش المتفحش ، ولا الصياح في الأسواق) . [4]

ومما يجعل الفكرة أكثر قبولاً أن يكون صاحبها مقتنعاً بها حريصاً على نشرها ممثلاً لها في كل حركاته وسكناته متقيداً بمثلها العليا في كل أوقاته وتصرفاته ولا يستطيع صاحب الفكرة أن يواجه بها المؤيدين والمعارضين إلا إذا كانت واضحة المعالم في ذهنه عميقة الجذور في فؤاده ، ومع هذا الفهم والوعي فلا ينبغي أن تستخفه المواقف بل عليه أن يتحدث بروح الناصح الأمين ويبتعد عن معاني

---

(١) الحجرات ١١ .
(٢) أخرجه الترمذي وأحمد في المسند وابن حبان والبخاري .
(٣) البخاري في الأدب المفرد ومسلم والترمذي والحاكم في المستدرك والنسائي .
(٤) البخاري في الأدب المفرد .

الاستعلاء والترفع المشين وصدق الله العظيم : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] وأن يعبر عن مراده بإخلاص وتجرد ويحادث المستمعين كأنه واحد منهم كما كان رسول الله ﷺ يخاطب قومه عند دعوته لهم بقوله : (إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو ضللت الناس جميعاً ما ضللتكم) .[2]

وقد سئل الحسن بن محمد عن أحد زهاد عصره ، فأجاب بهذه العبارة الوجيزة الرائعة : (لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته إن أمر بشئ كان ألزم الناس له ، وإن نهى عن شئ كان أترك الناس له ، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن منه ولا باطناً أشبه بظاهر منه) .

(١) الشعراء ٢١٥ .

(٢) انظر هذا المعنى في كتاب السيرة النبوية للحافظ الذهبي ٨٥ ، ٩٢ .

التي هي أحسن

يقول الله تبارك وتعالى آمرا ومعلماً نبيه عليه الصلاة والسلام كيف يدعو الناس : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (١) ، ويقول جل ذكره مخاطباً نبييه الكريمين موسى وهارون عليهما السلام : ﴿ ٱذْهَبَآ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (٢)

فهذا محمد ﷺ أمره ربه أن يجادل بالحسنى ، وهم قد أساؤوا إليه وكذبوه وآذوه ، وهذان موسى وهارون عليهما السلام يرسلهما ربهما إلى فرعون الذي طغى ، ويأمرهما أن يلينا له القول أملاً في أن يتذكر أو يخشى . فهل نحن أكرم على الله من أنبيائه ؟ وهل ندعو إلى الحق أذل وأخزى من فرعون والكافرين ؟ .

إن الداعية ، والمحاور المنصف يناقش بالتلطف والأناة والهدوء ، ومن الأشياء التي تفتح مغاليق النفوس ، وتفعل فيها فعل السحر ، أن تقول لصاحبك في بدء حديثك ، اسمح لي أن أبدي وجهة نظري في الموضوع ، قد أكون مخطئاً وأشكرك لو تفضلت وصححت لى خطئي .

(والتي هي أحسن) تقتضي ألا تسفه آراء صاحبك ، وأن تظهر له الاحترام ولو كان على غير رأيك : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (٣)

---

(١) النحل ١٢٥ .
(٢) طه ٤٢ - ٤٤ .
(٣) الأنعام ١٠٨ .

التحـدي والإفحـــام

إن أسلوب التحدي في المناقشة ، ولو كان بالحجة الدامغة والدليل المبين يبغض صاحبه للآخرين ، فلا تلجأ إليه ، لأن كسب القلوب أهم من كسب المواقف ، ثم إنك قد تفحم الخصم ، وتعجزه عن الجواب ولكنك لا تقنعه ، أو قد تسكته بقوة حجتك ، ومع ذلك لا يسلم لك ، لأنك أحرجته ، فيرفض التسليم لك بعاطفته ، حتى وإن كان عقله معك .

أما إذا تلطفت معه ، فهو سيقتنع بوجهة نظرك ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فإذا أنهيت ما تريد قوله ، وأدليت بدليلك ، فاترك صاحبك ، وإن لم يوافقك ، فهو مع مرور الزمن سيقتنع برأيك ، بل ربما يتبناه ويدافع عنه بعد حين ، فالوقت له قيمته ، وهو جزء من علاج الأفكار والنفوس .

ولنفرض إنك خرجت من (المعركة) منتصراً ، فليكن انتصارك مملوءاً بالتواضع حتى لا تجرح مشاعر صاحبك وتذله ، إذ يكفيه ذلاً إنه هزم أمامك في عقله وعلمه ، وراقب نيتك مراقبة شديدة ، حتى لا يعتريك العجب والزهو ، فيضيع أجرك ويحبط عملك .

ولتتذكر دائماً أن الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق ، سواء تم ذلك على يديك أو على يد شريكك أو شركائك في الحوار ، وعليك أن تتحاشى إفحام الآخرين وإسكاتهم لأن ذلك قد يسكن الخصم أو الطرف الآخر ، ولكنه لا يقوده إلى الهداية ، فضلاً عما يتركه الإفحام - خاصة إذا كان أمام الآخرين - في نفسه من حقد وغيظ والداعية الحكيم عليه أن يحاول استلال ما في قلوب الآخرين من غيظ وكراهية ، وأن يقودهم إلى الهداية ليسعدوا بها كما سعد هو بها من قبل .

على أن هناك حالات تستثنى من ذلك يحسن بالداعية أن يلجأ فيها إلى الإفحام وإسكات الطرف الآخر ، وعلى سبيل المثال يمكن إفتراض الحالة التالية :

رجل فاسد النية والطوية يعادي الحق وهو يعرفه ، ولا يبتغي الوصول إلى الحقيقة والوقوف عند الحجة واحترام الدليل ، جمع عدداً من الشبان الصغار وأخذ يثير أمامهم مجموعة من الشبهات والأكاذيب ، فهذا قد يكون الأفضل أن يوقعه الداعية في تناقض فكري أمام الآخرين بحيث يحرجه ويفحمه ويسكته ويهون من قدره لديهم فيقطع عليه طريق إفسادهم .

وإذا ففي بعض الأحيان يكون الهجوم الحاد المركز على الخصم ، وإحراجه وتسفيه رأيه - ضمن حدود الآداب الإسلامية - مطلباً مقصوداً من المناقشة أو المناظرة وذلك إذا أساء إلى الفكرة وأهانها ، أو تجاوز حدود الأدب ، فيكون إفحامه عقوبة له ، أو إذا اقتضت المصلحة جرحه بالإفحام والتحدي لأنه يمثل الباطل أمام الناس ، وينبغي أن يرى الناس الباطل مهزوماً مدحوراً .

فالله سبحانه أمرنا بالتلطف في المناقشة حتى مع الكفار ، لكن إذا طغوا وبغوا واعتبروا اللطف ضعفاً ، فالعنف هو الدواء ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (١)

وإبراهيم عليه السلام حينما حاجَّهُ النمرود وجادله في ربه الذي آتاه الملك ، فكان ذلك سبب استعلائه وتكبره ، وطلب من إبراهيم عليه السلام أن يقيم له الدليل على وجود الله سبحانه الذي الذي يدعو الناس إلى الإيمان به وعبادته ، عندما فعل النمرود هذا ، استحق الاسكات والإفحام ، فهو يدعي الألوهية ، وقومه يعطونه - على باطله - مايريد من التمجيد والتبجيل ، فيقول تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ

(١) العنكبوت ٤٦ .

ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

☆ ومن طرائف الأجوبة المسكتة أن أحد الدعاة كان يحاضر في جمع من النساء عن تعدد الزوجات في الإسلام ، وأفاض في الحديث بموضوعية وإتقان واستيعاب واستعان بالأرقام والإحصاءات ، وأورد الحجج العقلية والنقلية ، لإثبات فوائد تعدد الزوجات إلا أن عدداً من الحاضرات لم يقتنعن وأخذن في اللجاج والجدل العقيم ، فرأى المحاضر أن يسكتهن بطريقة أخرى . فقال لهن : في الحقيقة أن المسئول الحقيقي عن تعدد الزوجات هو المرأة لا الرجل ، فلما استغربن ذلك وأنكرن عليه قال لهن : لو أن كل امرأة رفضت أن تكون زوجة ثانية لما كان هناك تعدد زوجات .

☆ وفي التاريخ أن رجلاً ناظر مجموعة من الملاحدة الذين يقولون بالمصادفة وينكرون وجود الله عز وجل ، فلما طالت المناظرة وكثر الجدل دعاهم إلى لقاء آخر لإكمالها على أن يكون هناك شهود يحكمون من تكون له الغلبة ، ولما جاء موعد اللقاء الجديد ، جاء متأخراً ، والجمع ينتظر فأخذوا يلومونه ، فقال لهم : دعوني أشرح لكم ما الذي أخرني فلعل لي عذراً . تعلمون أني أقيم في الطرف الآخر من المدينة حيث يفصل النهر بيننا ، وحين وصلت النهر لأعبره إليكم لم أجد سفينة تحملني فكان هذا هو سبب التأخير .

فقال له قائل : وكيف جئت بعد أن لم تجد سفينة ؟

فقال : وأتاني الحظ وأسعفتني المصادفة ، مر لوح خشب يطفو على النهر فتوقف أمامي ، ثم جاءت مجموعة ألواح أخرى التقت باللوح من جهاته الأربعة بشكل عمودي ثم قذف النهر بحبال غليظة التفت حول الألواح بإحكام حتى ثبتتها ، وهكذا وجدت نفسي أمام سفينة صغيرة عبرت بها النهر إليكم .

---

(١) البقرة ٢٥٨ .

قالوا له : ويحك ، أتضحك علينا ؟ إن هذا أمر مستحيل .

قال لهم : خسرتم وأقررتم على أنفسكم . أبت عقولكم أن تصنع المصادفة سفينة صغيرة ، وسمحتم لها أن تصنع هذا العالم المعجز ، وهو أعقد من السفينة وأحكم وأكبر وأتقن !!

★ ومن الأجوبة المفحمة ما يروى ، من أن شاباً توجه إلى أحد الدعاة بالسؤال التالي :

أتسمح لي يا أستاذ ؟ لماذا أرسلت لحيتك ولازلت في ريعان الشباب ؟

فرد عليه الداعية قائلاً ولم حلقتها أنت ؟

فأجاب الشاب : أنا حر .

فقال الداعية : وأنا لست عبداً .

فقال الشاب : لكن إرسال اللحية غريب بالنسبة لك .

قال الداعية : بل الغريب هو حلقها . أنا أتركها تنمو ، ولكنك أنت الذي يجب أن يسأل عن حلقها .

قال الشاب : ليس كل شعر الجسم يحلق ، ولا كله يترك .

قال الداعية : مثل ماذا ؟

قال الشاب : مثل شعر الرأس فهو يترك وغيره من الشعر غير المرغوب فيه يحلق .

قال الداعية : أنا اخترت أن يكون وجهي مثل رأسي .

فضحك الحاضرون وخجل الشاب وانصرف . [1]

★ كان أحد الرجال شديد العناية بالمأثورات الشعبية (الفولكلور) من لباس وطعام وآنية وما إلى ذلك . وفي الوقت نفسه كان يهاجم حجاب المرأة ويعده تأخراً ورجعية ، حاوره أحد الدعاة فلما أعجزه عناداً وجهلاً وتعصباً ، قال له :

---

(١) عبد البديع صقر - كيف ندعو الناس ص ٧٣ . .

بصراحة أنت رجل متناقض مع نفسك ، قال له : وكيف ذلك ؟ قال : لماذا تعني بالأزياء القديمة وبقية المأثورات الشعبية ؟ قال له : إنها فولكلور وكل الأمم الآن تعنى بما لديها من فولكلور .

قال الداعية : لابأس ، اعتبر الحجاب من الفولكلور الذي تدعو إلى العناية به ، ودع المحجبات وشأنهن .

★ كان أحد المفتونين بالحياة الحديثة يتحدث عن تخلف الأمة ، فقال فيما قال : إن الناس وصلوا إلى القمر ونحن لا نزال إلى الحجاب ، فقال له : أحد الحضور وما شأن الحجاب بذلك ؟ قال الرجل : إنه تخلف يعوق مسيرة التنمية والتقدم ، فقال له : طيب إن في بلاد المسلمين أعداداً هائلة من النسوة خلعن الحجاب ومع ذلك لم تصلوا إلى القمر .

إن القاعدة في دعوة الناس حاكمين أو محكومين هي الرفق لأن أسلوب التحدي ولو بالحجة الدامغة يبغض صاحبه للآخرين والأصل أن تكون لغة الحوار شدواً نتبادله لا صخراً نتقاذفه .

وحين يكون الحوار مع طاغية اشتهر بالظلم وليس همه من الحوار إلا الإيقاع بالخصم وكانت النتيجة معروفة سلفاً فإن بوسع المظلوم - وخاصة إذا كان من العلماء المتبوعين - أن يصدع بالحق ولا يرضخ للظلم حتى ولو كانت النتيجة أن يلحق بقوافل الشهداء وحسبه ماذكره رسول الله ﷺ : (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر أمره ونهاه فقتله) [1]

والمخاطرة بالنفس والمال مشروعة في إعزاز الدين والتمكين له ولا يستبين الحق إذا أجاب العالم تقية لأنه ممن يقفو على أثره خلق كثير .

ولعل من أفضل ما نسوقه مثلاً للتحدي ما جرى للإمام أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن فقد استدعى والي العراق اسحق بن إبراهيم وجوه العلماء

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/ ١٢٠ .

والفقهاء ليأخذ إقرارهم جميعاً ويبعث به إلى المأمون ، فأقروا بما طلب إليهم ماعدا أربعة أمر بهم فشدوا في الحديد وفي اليوم التالي أجابه اثنان وامتنع أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فوجه بهما إلى المأمون في طرسوس وفي الطريق عبر ابن جعفر الأنباري الفرات وذهب إلى حيث كان أحمد بن حنبل وسلم عليه فقال له أحمد : يا أبا جعفر تعنيت ، فقال : ليس في هذا عناء ، وقال له : أنت اليوم رأس والناس يعتقدون بك فو الله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا إن لم يقتلك المأمون تموت ولابد من الموت فثق بالله ولا تجيبهم إلى شئ قال : فجعل أحمد يبكي ويقول : ما شاء الله ما شاء الله ثم جاءهم الخبر بموت المأمون . ومات محمد بن نوح في الطريق فاستراح وذهب إلى ربه راضياً مرضياً .

وفي سجن أحمد الذي طرح فيه ثمانية وعشرون شهراً بقي صامداً فلم يغير رأيه ولم يبدل موقفه واشتدت عليه المحنة وبلغت أقصاها ودخل عليه عمه يقول : يا أبا عبد الله قد أجاب أصحابك وقد أعذرت فيما بينك وبين الله وبقيت أنت في الحبس والضيق ، فقال أبو عبد الله : يا عم : إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل متى يتبين الحق ؟ فذكر له ما روي في التقية من الأحاديث فقال : كيف تصنعون بحديث خباب ؟ إنه كان من قبلكم ينشر أحدهم بالمنشار ثم لا يصده ذلك عن دينه فيئس منه .

ثم قال أحمد : لست أبالي الحبس ما هو إلا ومنزلي واحد ولا قتلاً بالسيف ، إنما أخاف فتنة السوط وأخاف أن لا أصبر ، فسمعه بعض أهل الحبس وهو يقول ذلك فقال : لا عليك يا أبا عبد الله ما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي فلما سمع ذلك سرى عنه .

وعندما مثل بين يدي المعتصم ورفض الإنصياع لرغبتهم في القول بخلق القرآن وطال المجلس أمر المعتصم أن يأخذوه وتقدم الجلاد فلما ضرب أحمد سوطاً

قال : بسم الله ، فلما ضربه الثاني قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما ضربه الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فلما ضربه الرابع قال : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، واستمر الجلد مائة وخمسين سوطاً حتى أغمى عليه وعاد الإمام إلى بيته يقول : والله لقد أعطيت المجهود من نفسي ولوددت أن أنجو من هذا الأمر كفافاً لا عليَّ ولا لي .

ولما جاءالواثق أصدر أمره لأحمد : (لا تجمعن إليك أحداً ولا تساكني في بلد أنا فيه) فأقام الإمام أحمد في داره لا يخرج إلى الصلاة ولا يشهد جنازة ولا يلقي درساً حتى مات الواثق .

وصارت مسألة خلق القرآن حديث كل الناس وتندر بها البعض ومن طريف ما يروى في ذلك أن عبارة المضحك دخل يوماً على الواثق فقال : يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك في القرآن ؟ فقال : ويلك القرآن يموت ؟ قال : يا أمير المؤمنين كل مخلوق يموت ، بالله يا أمير المؤمنين بم يصلي الناس التراويح ؟ فضحك الواثق وقال : قاتلك الله أمسك .

ولما وصل الحال إلى هذا الحد خفف الواثق من غلوائه .

وما أن تولى المتوكل الحكم حتى فك المسجونين وأكرم المتضررين ونهى عن القول بخلق القرآن .

وإليك مثلاً آخر لحوار رائع جرى بين الحجاج بن يوسف الثقفي بما اشتهر عنه من ظلم وبين العالم الجليل سعيد بن جبير وهو من التابعين وكان قد خرج على بني أمية وانضم إلى الخارجين عليهم ثم قبض عليه وأدخل على الحجاج متهماً بشق عصا الطاعة فسأله الحجاج متجاهلاً : من أنت ؟

قال : سعيد بن جبير .

قال الحجاج متهكماً : بل شقي بن كسير .

قال سعيد : أمي كانت أعلم باسمي واسم أبي منك .

قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك .

قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك .

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى .

قال سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً .

قال الحجاج : فما قولك في محمد ؟

قال سعيد : نبي الرحمة وإمام الهدى .

قال الحجاج : فما قولك في علي : أهو في الجنة أم في النار ؟

قال سعيد : لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها .

قال الحجاج : فما قولك في الخلفاء ؟

قال سعيد : لست عليهم بوكيل .

قال الحجاج : فأيهم أحب إليك ؟

قال سعيد : أرضاهم لخالقي .

قال الحجاج : أيهم أرضا للخالق ؟

قال سعيد : علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم .

قال الحجاج : أحب أن تصدقني .

قال سبعيد : إن لم أحبك لم أكذبك .

قال الحجاج : فما بالك لم تضحك ؟

قال سعيد : وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ؟

قال الحجاج : فما بالنا نضحك ؟

قال سعيد : لم تستو القلوب .

ثم أمر الحجاج أن يعزفوا بالعود والناي فامتعض سعيد ، وأمر بالخروج فخرج يضحك فاستدعاه الحجاج وسأله : لم تضحك ؟

قال : من جراءتك على الله وحلم الله عليك .

قال الحجاج : ويلك يا سعيد .

قال سعيد : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار .

قال الحجاج : اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك .

قال سعيد : اختر أنت لنفسك فو الله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة .

قال الحجاج : أتريد أن أعفو عنك ؟

قال سعيد : إن كان العفو فمن الله وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر .

وإلى هذا الحد يلتفت الحجاج إلى زبانيته فيأمرهم : اقتلوه ، فيقول سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين .

قال الحجاج : وجهوه لغير القبلة .

قال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله .

قال الحجاج : كبوه على وجهه .

قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .

قال الحجاج : اذبحوه .

قال سعيد : أما أنا فأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة ، اللهم لا تسلطه على أحد بعدي .

وينتهي الحوار وتصعد روح العالم الجليل إلى مولاها تشتكي ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

الخـــلاف والمحبـة

إن كثيراً من الخلاف في وجهات النظر - حتى بين الزملاء والأصدقاء - يذهب بالمودة والمحبة ، فاحرص كل الحرص ألا يقع هذا ، واخطب ود أخيك أو صديقك في كل مناسبة تسنح لك : زره في بيته هنئه بالمناسبات ، قدم له هدية أثن على الجوانب الجيدة عنده ، واذكر مزاياه في حضوره وفي غيابه .

إن المناظرة والمناقشة والحوار - في غالب الأحيان - تؤثر على القلوب وتكدر الخواطر ، فتذكر ذلك جيداً وأنت تتحدث ، فلا تخرج - ما أمكنك - معلناً الخصومة على أحد .

وتذكر دائماً قول الشاعر :

واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية

وقول الشاعر الآخر :

في الرأي تضطغن العقول وليس تضطغن الصدور

الوصـول إلى النتيجـة

الحديث ذو شجون ، وكثيراً ما يتشعب موضوع المناقشة ، ويمضي في أمور فرعية بعيدة عن الأصل ، فإذا رأيت المناقشة قد انحرفت عن مسارها فأعدها إليه ، حاول أن تقطف ثمرة المناقشة ، سواء كانت هذه الثمرة إقناعاً بحق أم عملاً ينبغي أن يعمل ، وضع حداً للجدل العقيم ، فإنه مضيعة للوقت ، وتبديد للجهد ومباعدة بين القلوب .

إن مما يلاحظ - بوضوح تام - في أغلب الحوارات والمناقشات ، أن الحديث ينتقل من نقطة إلى أخرى ، ومن الثانية إلى الثالثة ، ثم ربما عاد إلى الأولى ويحدث استطراد ، وتنوع ، وتتداخل الخواطر والعواطف والأمزجة والأفكار بحيث لو حاول الإنسان في نهاية سهرة امتدت ساعتين أن يربط بين آخرها وأولها لتعب كثيراً، ولو حاول أن يحصر القضايا التي طرحت لوجدها كثيرة .

ومثل هذا الأمر يضيع الوقت والجهد ، ويبدد الطاقة ، ويجعل المناقشة عقيمة وسطحية ، قليلة الفائدة .

لذلك على المحاور أن يحرص - ما استطاع إلى ذلك سبيلاً - على التركيز في الحديث والنجاة من الاستطراد والشتات ، وأن يصل بالحديث إلى نتيجة واضحة محددة ينصرف الناس بعد أن تكون قد وضحت لديهم ، كتأصيل مبدأ ، أو التنبيه إلى كتاب أو الإشادة بمؤلف .

وحتى في الخطابة والمحاضرات يستحسن دائماً في نهاية الكلمة أن يجمع الإنسان شتات الموضوع في نقاط محددة يوردها في آخر الحديث تلخصه في عناصر محددة ، وفي ذلك فائدة كبيرة ، لأن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً وربما لا يبقى في ذهن السامع إلا هذه العناصر المحددة .

لا تغضب

إذا لم يوافقك صاحبك على رأيك فلا تغضب ، ولا تحاول أن تحمل الناس على ما تراه حقاً وصواباً ، إذ : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [1] فمن باب أولى أن لا يكون إكراه في وجهات النظر .

كان الإمام مالك رحمه الله أثبت الأئمة في حديث المدنيين عن رسول الله ﷺ وأوثقهم إسناداً ، وقد ألف كتابه (الموطأ) وتوخى فيه إيراد القوي من حديث أهل الحجاز ، كما نقل ما ثبت لديه من أقوال الصحابة وفتاوي التابعين وبوبه على أبواب الفقه ، فأحسن ترتيبه ، وأجاد تبويبه ، واعتبر (الموطأ) ثمرة جهد الإمام مالك إربعين عاماً ، وهو أول كتاب في الحديث الصحيح والفقه ظهر في الإسلام ، وافقه على ما فيه سبعون عالماً من معاصريه من علماء الحجاز ، ومع ذلك فحين أراد المنصور كتابة عدة نسخ منه ، وتوزيعها على الأمصار ، وحمل الناس عليه حسماً للخلاف ، كان الإمام مالك أول من اعترض وقال : (يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم .. فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم) فقال الخليفة : وفقك الله يا أبا عبد الله [2]

وعندما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة ، كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عاملاً له (أي والياً) . وكانت وجهات نظرهما في المسائل تختلف فهل حمل أمير المؤمنين عامله على رأيه ؟ لا ، وهل غضب منه لمخالفته إياه ؟ لا ، فقد ذكر ابن القيم أن ابن مسعود خالف عمر رضي الله عنهما في حوالي مائة مسألة [3] فلماذا أغضب أنا وتغضب أنت ، ونريد أن نحمل الناس على رأينا ، وهذا ما لم يفعله عمر بن الخطاب والإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما ؟

---

(١) البقرة ٢٥٦ . (٢) حجة الله البالغة ٢٣٥ .

(٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم . وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٢٠٠ .

المخالفة برغم الاقتناع

لا تتوقع أن يوافقك الناس على رأيك إذا كنت مصيباً ، وأقمت عليه الدليل واقتنعوا هم به ، فالنفس الإنسانية مزيج عجيب من عوامل شتى ، منها عامل الهوى فإذا سيطر الهوى على المرء فلا حجة ولا منطق ولا دليل .

وأوضح الأمثلة على صدق ما نقول هو ماحدث للأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم ، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا عبدة الأصنام من قومه ، وبين لهم قولاً وعملاً أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة لأنها مصنوعة ، ولأنها لا تعقل ، ولا تستطيع رد الأذى عن نفسها ، فاقتنعوا بكلامه ، واعترفوا أنهم هم الظالمون ، ونكسوا رؤوسهم ذلاً وخزياً ، ولكن : هل اعترفوا له ؟ لا ، هل تركوه يذهب وشأنه ؟ لا ، لم يفعلوا شيئاً من ذلك ، بل أرادوا إحراقه والقضاء عليه ، ولنتدبر الحوار القرآني المعجز ، ولنتعلم منه دروساً رائعة فى أصول الحوار والمناقشة ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا

يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [1] أعوزتهم قوة الحجة فلجأوا إلى حجة القوة ، وهذا مثال يتكرر على مر العصور .

وكذلك الحال في أمر يوسف الصديق عليه السلام ، فبعد أن ظهر أدلة براءته من التهمة التي وجهتها له امرأة العزيز ، بشهادة أهلها ، وبعد اعترافهم بأنها مكيدة دبرتها له ، سجنوه بضع سنين ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [2]

وموسى عليه السلام أرسله الله سبحانه بالمعجزات القاطعات إلى فرعون وقومه ، فعلموا يقيناً أنها من الله ، ومع ذلك عاندوا وجحدوا الحق اعتداء وتكبراً ، قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [3]

(١) الأنبياء ٥١ - ٦٨ .
(٢) يوسف ٣٥ .
(٣) النمل ١٢ - ١٤ .

حين لا يجدي المنطق

في بعض الأحيان لا ينفع المنطق والبرهان ، إنما يجدي التودد والإحسان ، حينذاك ألق عصا المنطق واحمل راية الحنان ، لتفوز في الميدان ، وهذه النصيحة تنفع بخاصة الآباء اللائمين ، والأزواج المنتقدين ، والمدرسين القاسين ، والرؤساء الغاضبين .

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه) أي : عابه . وفي رواية : (إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه) [1]

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من يحرم الرفق يحرم الخير كله) [2]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : (بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا) [3]

وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[4] فقد تبدأ المناقشة وروح العداوة تسيطر على أحد الطرفين ، فإذا دفع الآخر بالحسنى انقلبت العداوة إلى مودة ، والبغض إلى محبة ، ودفع الإساءة بالإحسان ليس سهلاً يقدر عليه كل إنسان ، بل يحتاج إلى تدريب نفسي ، وصبر ومجاهدة ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[5]

---

(١) رواه مسلم . انظر جامع الأصول ٤/ ٥٣٢ .
(٢) رواه مسلم في البر وأبو داود في الأدب .
(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود .
(٤) فصلت ٣٤ .
(٥) فصلت ٣٥ .

لا تستعمل ضمير المتكلم

يحسن بالداعية أن يتجنب استعمال ضمير المتكلم في حديثه من مثل : عملت كذا ، وأود شرح هذه النقطة ، ورأيي في الموضوع المطروح هو كذا وكذا وكذلك يتجنب استعمال ضمير الجماعة من مثل : وتجربتنا تدل على كذا وإذا درسنا القضية المختلف عليها يتبين لنا كذا وكذا ، ذلك إنه إذا استعمل هذا النوع من طريقة الحديث ، يخشى عليه أن يقع من حيث يدري أو لا يدري في مدح نفسه . والتأكيد على خبرته وثقافته فيقع في أول الخطأ وأهمه وهو فساد النية . من جهة أخرى ينبغي أن نتذكر أن هذا النوع من الحديث يترك إنطباعاً سلبياً لدى السامع يجعله ينفر منه ويزهد فيه ، والإنسان بطبعه يكره من يتعالم عليه ، وينزله منزلة الجاهل الذي ينبغي أن يتعلم منه ، والبديل المنطقي والصحيح عن ذلك أن يتحدث المرء مستعملاً الصيغ التي لا تنسب العلم لذاته ، والتي توحي بالموضوعية وعزو الفضل لأصحابه كأن يقول : ويبدوا للدارس كذا وكذا ، أو تدل تجارب العاملين في الحقل الإسلامي على صحة الرأي الذي يقول كذا وكذا ، أو تحدث داعية عريق في القضية المطروحة للحوار فأبدى رأياً حميداً يحسن بنا أن ننتفع به .

لا ترفع صوتك

يحسن بالمحاور ألا يرفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع فذلك رعونة وإيذاء ، والمحاور غير الخطيب الذي تقتضيه بعض مواضع خطابته أن يرفع صوته ورفع الصوت لا يقوي حجة صاحبه قط ، وفى أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون ، ضعيف الحجة ، يستر عجزه بالصراخ على عكس صاحب الصوت الهادئ الذي يعكس عقلاً متزناً وفكراً منظماً وحجة وموضوعية .

وانظر إلى البحر : تجد الصخب والضجيج على الشاطئ عند الصخور حيث الماء ضحل لا جواهر فيه ولا درر : وتجد الهدوء لدى الماء الأعمق حيث نفائس البحر وكنوزه ، والمثل الإنجليزي يقول : الماء العميق أهدأ .

وليس معنى ذلك أن تخفض الصوت لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث وإنما خير الأمور الوسط كما يقولون .

وقد وجد بالخبرة والتجربة أن الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح ومن غير إسرار وإخفات هو الأدخل إلى النفوس والأنفذ إلى الأعماق والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم .

وكذلك من الأفضل ألا تجعل درجات صوتك على وتيرة واحدة لأن ذلك قد يجلب النوم للمستمعين ولكن يلزم أن تخفض الصوت وترفعه إنفعالاً مع الحديث فإن لقوة الصوت وخفضه دخلاً في تجديد الإنتباه .

وحتى تتم الفائدة عليك ألا تسرد الكلام سرداً بل تجزئه وترتبه وتتمهل فيه ليفكر فيه سامعه وقد روي أن كلام رسول الله ﷺ كان فصلاً يفهمه من سمعه وأنه إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم عنه .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مراجـــع

كيف ندعو الناس	عبد البديع صقر
رسالة الآداب في علم أدب البحث والمناظرة	محمد محي الدين عبد الحميد
رفع الملام عن الأئمة الأعلام	ابن تيمية
دراسات في الإختلافات الفقهية	د. محمد أبو الفتح البيانوني
ما لا يجوز الإختلاف فيه بين المسلمين	عبد الجليل عيسى
كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس	ديل كارنجي - ترجمة عبد المنعم الزيادي
أسس الدعوة وآداب الدعاة	د. محمد السيد الوكيل
مناهج الجدل في القرآن الكريم	د. زاهر عواض الألمعي
الفرق بين النصيحة والتعيير	الحافظ ابن رجب الحنبلي
كتاب الفقيه والمتفقه	الخطيب البغدادي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهـــــرس

الصفحـــة	الرقم
من الكتاب العزيز	٥
من هدي النبوة	٦
تمهيـــد	٩
بين الحوار والجدال	١٢
القـرآن الكريم والحـوار	١٣
الرسـول ﷺ والحـــوار	١٥
الإقرار بالخلاف	٢٢
المسلم طالب حق	٢٧
النيـــة	٢٩
الظرف المناسب	٣٢
العـــلم	٣٣
ليس الناس طرازاً واحداً	٣٥
لا تستأثر بالكلام	٣٦
حسـن الاستماع	٣٨
راقب نفسـك	٤٠
البيـــان	٤٣
الأمـثـلة	٤٥
النقاط المشتركة	٤٦

إقفال المناقشة ٤٧
لا أعـــلم ٤٨
لا تتعـصب وسلم بالخطأ ٥٠
الأمـانة والتـوثيق ٥٢
احترام الطرف الآخر ٥٣
الفكرة وصـاحب الفكرة ٥٧
التي هي أحسن ٥٩
التحدي والإفحام ٦٠
الخلاف والمحبة ٦٩
الوصول إلى نتيجة ٧٠
لا تغـضب ٧١
المخالفة برغم الاقتناع ٧٢
حين لا يجدي المنطق ٧٤
لاتستعمل ضمير المتكلم ٧٥
لا ترفع صـوتك ٧٦
مـراجـع ٧٧

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

تأسست : عام ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢ م .

مقرها : الرياض – المملكة العربية السعودية .

طبيعتها : أول هيئة إسلامية عالمية متخصصة في شئون الشباب ، وهي تضم أكثر من أربعمائة وخمسين منظمة شبابية وطلابية إسلامية منتشرة في القارات الخمس .

من أهدافها :

١ – خدمة الفكر الإسلامي الصحيح على أساس من التوحيد الخالص .

٢ – تعميق أسباب الوحدة الفكرية وتقوية روابط الأخوة الإيمانية بين الشباب المسلم .

٣ – تعريف العالم بالإسلام بجميع الوسائل وعلى أوسع نطاق .

٤ – توضيح ودعم الدور الإيجابي للشباب والطلاب في بناء المجتمع الإسلامي .

٥ – دعم منظمات الشباب الإسلامي في جميع أنحاء العالم والتنسيق بينها ومساعدتها في تنفيذ برامجها .

لقاءاتها العالمية :

تعقد الندوة لقاؤها العالمي كل ثلاثة أعوام ، وقد عقدت حتى الآن سبعة لقاءات عالمية منها خمسة في الرياض في الأعوام ١٣٩٢ هـ – ١٣٩٣ هـ – ١٣٩٦ هـ – ١٣٩٩ هـ – ١٤٠٦ هـ والسادس في كينيا عام ١٤٠٢ هـ والسابع في كولالمبور – ماليزيا عام ١٤١٤ هـ وحضرها ممثلو المنظمات الشبابية والطلابية الإسلامية في جميع أنحاء العالم لإختيار أعضاء مجلس الأمانة العامة للندوة ، وللبحث في القضايا التي تهم الشباب المسلم . وتساهم الندوة وتقيم لقاءات إقليمية ومحلية ومخيمات للتدريب القيادي الإسلامي الشبابي على مدار العام في مختلف أرجاء العالم .

الندوة العالمية للشباب الإسلامي مكتب جدة
ص.ب ٨٨٥٦٠ جدة : ٢١٤٩٢ – ت : ٦٦٠١٨٧٨ –٠٢ / ٦٦٧٢٨٣٣ – ٠٢ – فاكس : ٦٦٠٢٦٤٥ – ٠٢

الرياض : هاتف : ٤٦٤١٦٦٣ – ٠١ / ٤٦٤١٦٦٩ فاكس : ٤٦٤١٧١٠ – ٠١
المدينة : هاتف : ٨٣٨١٨٣٢ – ٠٤ / ٨٣٨١٨٢٤ – ٠٤ – أبها : هاتف وفاكس : ٢٢٦٠٢٤٠
الدمام : هاتف : ٨٤١٤١١٣ / ٨٤٢٥١١٦ فاكس : ٨٤٢٥١٥٩